جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قضايا إسلامية
سلسلة تصدر
غرة كل شهر عربى

العالم الإسلامى
بين
مصادر القوة وعوامل الضعف

أ.د. أحمد عبد الرحيم السايح

[القسم الثانى]

العدد ٦٢

ربيع الآخر ١٤٢١هـ - يوليو ٢٠٠٠م

يشرف على إصدارها

الدكتور/ **محمود حمدى زقزوق**

وزير الأوقاف

ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الدكتور/ **عبدالصبور مرزوق**

نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

على سبيل التقديم

بقلم أ . د . عبد الصبور مرزوق
نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

هذه القضية :

قضية حال أمتنا بين عناصر قوتها وأسباب ضعفها هى قضية عصرنا وينبغى أن تكون قضيتنا فى كل العصور حتى نجد حلاً لها .

ذلك أن قضية قوة المسلمين ليست مجرد شعار وطنى أو مسألة تأهب لصراع عسكرى تكون الغلبة فيه لمن يملك القوة .

لكنها قضية صراع حضارى بين الحق والباطل وبين الظلم والعدل وبين توفير الكبرياء للإنسان الذى استخلفه الله فى الأرض بعدما ميّزه بالعلم وأسجد له ملائكته ، وبين ما يتعرض له اليوم من إذلال وامتهان وحرمان من أبسط الحقوق التى شرعها الله له فى ظل غطرسة الأقوياء وأنانية الأغنياء وعنصرية ازدراء البيض للسود وأهل الشمال لأهل الجنوب .

من هنا يكون أمر قوة الأمة المسلمة ضرورة حضارية وإنسانية كبرى تمكن لهم من إرساء قيم الحق والعدل وتساعدهم على التمكين فى أرض الله لكلمات الله .

ومن هنا يصبح من الضرورات الدينية ألا يغفل أبداً ولاة أمر هذه الأمة عن العمل الدائم لتوفير هذه القوة للأمة حتى تكون أهلاً للنهوض بدورها القدرى الذى اختاره الله لها وقرر لها الخيرية على أساس نهوضها به فى قوله سبحانه : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾[1] .

ولأننا فى القرن الحادى والعشرين نعيش زمان إنسان أفسده الاغترار بالعلم فنسى الله وبات يسجد لمعطيات هذا العلم مع ما جرى للتفوق العلمى من سوء استخدام فى صنع الدمار مع الإهدار الأكبر لإمكانية تسخير العلم لعلاج الأمراض وتحسين سبل الإنتاج أو مواجهة الأوبئة وما إليها .

هذا الإنسان نفسه قد أفسدته الأنانية البشعة التى نماها وأبرزها فيه عبادته للمال والاكتناز وتوفير المزيد من التراكمات والأرصدة فأصبح مثل قارون الذى أوتى ما لم يؤته أحد قبله فقال : ﴿ **إنما أوتيته على علم عندى** ﴾[2] . ورفض الإحسان إلى الفقراء والمحتاجين .

قارون قوم موسى الذى تحدث القرآن عنه أصبح فى عصرنا هو النموذج الأمثل الذى يحتذيه أهل الحضارة الصليبية

---

(١) آل عمران : ١١٠ .

(٢) القصص : ٧٨ .

المعاصرة ليس فقط على مستوى الأفراد بل على مستوى الدول التى يدفعها الحرص على التراكم إلى مزيد من الجشع ومزيد من السّعار بالمزيد من المال والمزيد من الربح فرأينا دولا تلقى فائض الزبد فى المحيط وأخرى تحرق فائض القمح ، وثالثة ترصف الطرقات بفائض القطن .

كل هذا يصنعه أولئك المسعورون بالمال دون أن يتحرك فى وجدانهم أى احساس بأن فى العالم الثالث بين أفريقيا وآسيا ملايين من خلق الله لا تجد لقمة طعام والجوع يهلك أطفالها وشيوخها والأغنياء يتفرجون لا يتحرك فى قلوبهم أى وازع للتعاطف أو الاشفاق والرحمة .

من هنا تبحث الإنسانية عن منقذ قوى قادر يعيد إنسان هذه الحضارة الغربية الصليبية إلى صوابه ، ويعلّمه أن الرزق الذى يفيض به الخالق على خلقه هو حق لكل مخلوق من البشر بصرف النظر عن عقيدته أو عن جنسه أو لونه أو ثقافته .

لأن فى منظور الإسلام أن كل خلق الله من البشر هم عيال الذين تكفل الحق سبحانه برزقهم فى قوله : ﴿ **إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾[1] . بل فى العهد الذى أخذه على نفسه فى قوله : ﴿ **وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها** ﴾[2] .

---

(١) الذاريات : ٥٨ .

(٢) هود : ٦ .

وطبيعى أن أهل الشمال فى الغرب الصليبى الذين قتلت الأنانية وقتل افتنانهم بالمال فيهم إنسانية الإنسان ليس من اليسر أن يستجيبوا للدعاء الإنسانى إلا إذا كانت أمة الإسلام الداعية والمأمورة بالنهى عن المنكر والأمر بالمعروف قادرة على أن تحملهم على هذا - بعد الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة إلا بالقوة القاهرة .

ومن هنا للقوة فى الإسلام معنى حضارى - بعيد كل البعد عن مجرد العنف والغطرسة ، يتم استخدامه فى إرساء القيم النبيلة اللائقة بمكانة الإنسان .. قيم الحق والعدل والرحمة والتعاطف وساعتها سيكون للتحضّر معنى إنسانى عظيم يحمله ويساعده على التعايش والتوادّ والتكافل .

وهذا ما من أجله نشر المجلس هذه الدراسة التى نسأل الله أن ينفع بها وأن يثيب كاتبها .

وبالله التوفيـــــق ....،،

أ . د . عبد الصبور مرزوق
نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الفصل الأول

عوامل الضعف

في

العالم الإسلامي

المبحث الأول
العداء الصليبى للإسلام

الباحثون يدركون أن أوروبا اكتشفت الفكر الإسلامى فى مرحلتين من مراحل تاريخها : فكانت مرحلة القرون الوسطى ، قبل وبعد « توماس الإكوينى » (١) تريد اكتشاف هذا الفكر ، وترجمته من أجل إثراء ثقافتها بالطريقة التى أتاحت لها فعلاً تلك الخطوات التى هدتها إلى حركة النهضة منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، وفى المرحلة العصرية والاستعمارية ، فإنها تكتشف الفكر الإسلامى مرة أخرى ، لا من أجل تعديل ثقافى ، بل من أجل تعديل سياسى ، لوضع خططها السياسية ، مطابقة لما تقتضيه الأوضاع فى البلاد الإسلامية من ناحية أخرى ، ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه السياسات فى البلاد الإسلامية (٢) .

---

(١) توماس الإكوينى ولد سنة ١٢٢٦م ، وتوفى سنة ١٢٧٤م ويعتبر من أعظم الفلاسفة واللاهوتيين فى العصر المدرسى المسيحى ، وفى ١٣٢٣م منحته الكنيسة الكاثوليكية لقب القديس.

(٢) مالك بن نبى ، إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى ، ص ٨ ، ط ك دار بيروت ١٩٦٩م .

ويذكر المؤرخون أن الجيوش الأوروبية الصليبية لما هاجمت بلاد الإسلام كانت مدفوعة إلى ذلك بدافعين :

الدافع الأول : دافع الدين والعصبية العمياء التى أثارها رجال الكنيسة فى شعوب أوروبا ، مفترين على المسلمين أبشع الافتراءات محرضين النصارى أشد تحريض على تخليص مهد المسيح من أيدى الكفار - أى المسلمين - فكانت جمهرة المقاتلين ، من جيوش الصليبيين من هؤلاء الذين أخرجتهم العصبية الدينية من ديارهم عن حسن نية ، وقوة عقيدة ، إلى حيث يلاقون الموت ، والقتل ، والتشريد ، حملة بعد حملة وجيشاً بعد جيش .

والدافع الثانى : دافع سياسى استعمارى ، فلقد سمع ملوك أوروبا بما تتمتع به بلاد المسلمين من حضارة وثروات ، فجاءوا يقودون جيوشهم باسم المسيح ، وما فى نفوسهم إلا الرغبة فى الاستعمار والفتح ، وشاء الله أن ترتد الحملات الصليبية مدحورة مهزومة (١) .

ويكاد يكون معروفاً ، أن أوروبا شنت ثمان حملات صليبية على الشرق الإسلامى وقد بدأت الحروب الصليبية منذ منتصف القرن الحادى عشر ، واستمرت حتى نهاية القرن الثالث عشر ، أى ما يقرب من مائتين وخمسة وعشرين عاماً فى ثمانى حملات من الحملات المدججة بالعدد والمعدات .

---

(١) انظر الدكتور مصطفى السباعى ، السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ، ص١٨٧-١٨٨ ، ط : بيروت .

ويصف كاهن مدينة (لوبوى ريموند واجيل) سلوك الصليبيين حينما دخلوا على القدس ، فيقول : « **حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها ، فقطعت رؤوس بعضهم ، فكان أقل ما أصابهم ، وبقرت بطون بعضهم ، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار ، وحرق بعضهم فى النار ، فكان ذلك بعد عذاب طويل ، وكان لا يرى فى القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم ، فلا يمرّ المرء إلا على جثث قتلاهم ، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض مانالوه** »[1].

وروى الكاهن نفسه خبر ذبح عشرة آلاف مسلم فى مسجد عمر - رضى الله عنه - ويقول فى هذا : « **لقد أفرط قومنا فى سفك الدماء فى هيكل سليمان ، فكانت جثث القتلى تعوم فى الساحة هنا وهناك ، وكانت الأيدى والأذرع المبتورة تسبح وكأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها . فإذا ما اتصل ذراع بجسم لم يعرف أصله ، وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة ، لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة** »[2].

---

(١) انظر : غوستاف لوبون حضارة العرب ، ص ٢ ، ٤ ترجمة عادل زعيتر .

(٢) لوثورب ستودارد ، حاضر العالم الإسلامى ، ج١ ، ص ٦٠ .

ويذكر التاريخ أن الحملة الصليبية عند دخولها بيت المقدس فى ١٥ مايو عام ١٠٩٩م قد ذبحت أكثر من سبعين ألف مسلم ، حتى سبحت الخيل إلى صدورها فى الدماء ، وفى أنطاكية قتلوا أكثر من مائة ألف مسلم .

فالأمر خطير . إنه حقد الشر على الحق ، والرذيلة على الفضيلة ، وعداوة الشرك للتوحيد ، وخصومة الضلال للهدى[1] .

وقد صمدت الأمة الإسلامية فى وجه هذه الحروب الوحشية التى سلبت ونهبت ، وقتلت وفتكت .

وبعد مضى أكثر من قرنين من حروب دامية ، اشتد وطيسها بين كتائب الإيمان ، وبين جحافل الشر ، ارتدت الحروب الصليبية ، وقد باءت هذه الحملات بالإخفاق والهزيمة ، فالقديس « لويس التاسع » قائد الحملة الصليبية الثامنة ، وملك فرنسا ، وقع أسيراً فى مدينة « المنصورة » فى مصر . ثم خلص من الأسر بفدية ، ولما عاد إلى فرنسا أيقن أن قوة الحديد والنار لا تجدى نفعاً مع المسلمين الذين يملكون عقيدة راسخة ، تدفعهم إلى الجهاد ، وتحضهم على التضحية بالنفس ، وبكل غال .

إذن : لابد من تغيير المنهج والسبيل ، فكانت توصياته : أن يهتم أتباعه بتغيير فكر المسلمين ، والتشكيك فى عقيدتهم وشريعتهم ، وذلك بعد دراستهم للإسلام لهذا الغرض ، وهكذا

---

(١) راجع نادية شريف العمرى ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص ١٦٤ .

تحولت المعركة من ميدان الحديد والنار إلى ميدان الفكر [1]، لأن القضاء على الإسلام أو تحويل المسلمين عن دينهم، لا يمكن أن يأتى عن طريق القوة المادية، والغزو المسلح.

ولقد بدأت حركة « الغزو الفكرى » من منطلق ضرب المسلمين عن طريق الكلمة بعد هزيمة الحروب الصليبية - كما وجههم « لويس التاسع » - والعمل على ترجمة القرآن، والسنة، وعلوم المسلمين، للبحث عن الثغرات التى يدخلون منها إلى إثارة الشبهات، وقد أعلنوا صراحة أن الإسلام هو عدوهم الأول، وأن أكبر غاية لهم هى ضرب وهدم قواعده » [2]. لقد فشلت الحروب الصليبية فى الوجهة الحربية .. لكن بقى الغزو الفكرى ينفث سمومه، ويثير الشكوك، وبقيت النزعة الصليبية تتوارى خلف ستار من الديبلوماسية، والرياء السياسى، تحرك ما تريد تحريكه، وتقف خلف الغزو الفكرى بكل ما لها من قوة، وعلم ..

ولا شك أن العداء الصليبى للإسلام هو الدافع الأساسى والأصيل « للغزو الفكرى » الذى تسلط على مجتمعات الأمة الإسلامية، ونجد أن هذا العداء أخذ « شكل السعار الوبائى » لدى الأمم الغربية « الصليبية » فأخذوا مستميتين يوزعون

---

(١) إبراهيم النعمة، الإسلام أمام تحديات الغزو الفكرى، ص ١٢.

(٢) أنور الجندى، المد الإسلامى فى القرن الخامس عشر الهجرى، ص ١٢٦.

السموم ، ذات اليمين وذات الشمال ، ويفترون الأكاذيب ، ويطمسون الحقائق ، ويدبرون المكائد ، ويتصيدون السقطات ، ثم يدخلون فى روع أنفسهم ، وبنى جلدتهم أنهم أرقى عنصراً وأفضل عقلاً ، وأفلح ديناً ، وأنهم أوصياء على البشرية ، وسادة الإنسانية ، وهداتها ، ومرشدوها [1] .

وقال : « وليم غيفورد بلغراف » الإنجليزى المسمى بالحرباء: الكلمة المشهورة التى يلخص فيها عداء الغربيين للإسلام : « متى توارى القرآن ، ومدينة مكة ، عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربى ، يندرج فى سبيل الحضارة ، التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه » [2] .

وجلادستون رئيس وزراء بريطانيا يقول : « ما دام القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هى نفسها فى أمان » [3] .

ويرى غاردنر : « أن القوة التى تكمن فى الإسلام هى التى تخيف أوروبا » [4] .

---

(١) الدكتور توفيق يوسف الواعى ، الحضارة الإسلامية ، ص ٧٠٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) نادية شريف العمرى ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص ١٦٧ .

(٤) عبد الرحمن الميدانى ، أجنحة المكر الثلاثة ، ص ١٣ .

ويوضح هذا العداء ، ويذكر بعض أسبابه المستشرق «بيكر» فيقول : « إن هناك عداء من النصرانية للإسلام ، بسبب أن الإسلام عندما انتشر فى العصور الوسطى أقام سداً منيعاً فى وجه الاستعمار ، وانتشار النصرانية ، ثم امتد إلى البلاد التى كانت خاضعة لصولجانها » (١) .

ويقول فى هذا المعنى « لورانس براون » : « إن الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام ، وفى قدرته على التوسع والإخضاع ، وفى حيويته ، إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الغربى (٢) . ثم بين « لورانس براون » أن خطر المسلمين هو الخطر العالمى الوحيد فى هذا العصر ، الذى يجب أن تجتمع له القوى ، وتجيش له الجيوش ، وتلتفت إليه الأنظار » ، فيقول حاكياً آراء المبشرين : « إن القضية الإسلامية تختلف عن القضية اليهودية ، إن المسلمين يختلفون عن اليهود فى دينهم ، إنه دين دعوة ، إن الإسلام ينتشر بين النصارى أنفسهم ، وبين غير النصارى ، ثم إن المسلمين كان لهم كفاح طويل فى أوروبا – كما يراه المبشرون – وهو أن المسلمين لم يكونوا يوماً ما أقلية موطوءة بالأقدام » .

ثم يقول : « إننا من أجل ذلك نرى المبشرين ينصرون اليهود على المسلمين فى فلسطين ، لقد كنا نخوّف من قبل

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق ، وانظر عمر فروخ : التبشير والاستعمار ، ص ١٨٤ .

بالخطر اليهودى والخطر الأصفر باليابان وتزعمها على الصين وبالخطر البلشفى ، إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق (لم نجده ولم يتحقق) كما تخيلناه ، إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم [1] عدونا الألد ، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا ، أما الشعوب الصفر ، فإن هناك دولاً ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتها ، ولكن الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام » [2] .

ولقد اشترك الاستعمار الغربى ، والجهد التبشيرى ، والحقد الصليبى ، فى حرب المسلمين ، وتشتيت تراثهم ، ونهب ديارهم ، بحيث أصبح يخيم عليهم كسحابة سوداء من البغضاء والكراهية ، يتمثل هذا فيمًا حدث فى عام ١٩١٨م عندما دخل اللورد اللنبى القدس وأعلن : « الآن انتهت الحروب الصليبية » كان هذا القائد يعبر عن الروح الأوروبية ، الروح الصليبية ، التى ظلت متوهجة فى أعماقهم طوال تلك الحقب .

وبنفس الحقد الذى صدر عن الجنرال الإنجليزى اللنبى ، كان مسلك الجنرال الفرنسى « غورو » قائد الجيش الفرنسى فى دمشق حين ذهب إلى قبر صلاح الدين ، بعد أن جاء راكباً سيارة مكشوفة ، وترجل إلى القبر ، وقال قولته المشهورة : «نحن هنا

---

(١) الواقع أن اليهود لم يضطهدهم المسلمون ، ولكنهم هم الذين اضطهدوا المسلمين وتآمروا عليهم .

(٢) انظر الدكتور توفيق الواعى ، الحضارة الإسلامية ، ص ٧٠٦ .

يا صلاح الدين » ، وفى اليوم التالى عمل الشىء نفسه فى حمص ، حيث ذهب إلى قبر « خالد بن الوليد » - رضى الله عنه - وقال : « نحن هنا يا خالد » [1] .

هذا الحقد والضغن ، والمقت ، كان سبباً قوياً فى الإغارة على المسلمين بشتى الأساليب ، والطرق ، والأشكال ، والألوان ، ومازالت تلك الموجة ، تعلو ، وتشتد ، وتمتد ، ثقافياً وفكرياً ، لتخريب قواعد الإسلام ، والأخلاق الإسلامية ، وإشاعة الأفكار والتيارات الهدامة [2] ، وشغل الأمة الإسلامية ، بكل ما هو هامشى فى حياتها ، حتى لا تدرك اليقظة الواعية ، ولا تنتبه إلى ما يحاك حولها .

لقد وجد الغربيون أن خير طريق لغزو العالم الإسلامى وإخضاعه هو سلوك الغزو الفكرى ، فوضعوا الخطط ، وحاكوا المؤامرات للإغارة على الأفكار ، والمفاهيم الإسلامية ، وعلى كل ما له صلة بالإسلام ، حضارة وثقافة وصارت قاعدتهم التى ارتكزوا عليها : « إذا أرهبك عدوك فأفسد فكره ينتحر به ، ومن ثم تستبعده » .

---

(١) انظر الدكتور توفيق الواعى ، الحضارة الإسلامية ، ص ٧٠٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٠٧ وانظر أنور الجندى ، المد الإسلامى فى القرن الخامس عشر الهجرى ، ص ٢٨٦ .

وانطلقت الصيحة إلى ضرورة نقل المعركة من ساحة الحرب

إلى ميدان الفكر والمعرفة [1] . فأغاروا على حضارة الإسلام وثقافته سعياً وراء هدم عقائده وأفكاره ، ونشر الأفكار الغربية بديلاً عنها .

ولا شك أن الغزو الفكرى أعمق أثراً وأشد فتكاً فى حياة الأمة من الغزو المسلح ، لأنه يتسلل إلى عقولها وقلوب أبنائها ، ذلك أن الأمم تقاس بمقوماتها العقيدية ، والفكرية ، وقيمها الخلقية .

فالغزو الفكرى الأخلاقى أخطر من الغزو المادى المسلح ، لأنه يمضى بين الناس فى صمت ونعومة وخفاء فى الأهداف ، مما يجعل الناس تدريجياً يتقبلون كل جديد ، ولو خالف قيمهم وعقائدهم وأفكارهم ينظرون ولا يشعرون .

وإذا كان العداء الصليبى للإسلام والمسلمين سبباً رئيسياً فى إضعاف المجتمعات الإسلامية ، فإن هناك أسباباً أخرى - غير العداء الصليبى - ساعدت على إضعاف العالم الإسلامى وعملت على هزيمة المسلمين .

---

(١) انظر عز الدين الخطيب التميمى وآخرين : نظرات فى الثقافة الإسلامية ، ص ٣٣ .

المبحث الثانى
الاستعمار الغربى
للمجتمعات الإسلامية

لقد تعرض المجتمع الإسلامى فى آسيا ، وأفريقيا ، للطابع الأيديولوجي للمجتمع الأوروبى ، سواء الحديث منه فى القرن التاسع عشر ، أو المعاصر فى القرن العشرين ، ولم تكن للمجتمع الإسلامى مناعة كافية فى رفض هذا الطابع وتحديه ، وعدم تقبله .

فتعرض للغزو الأوروبى ، من أجل الصناعة الغربية ، منذ أثمر عهد النهضة الأوروبية ثمرته فى التحرر والخلاص ، من سلطة الكنيسة ، وفى استرداد الإنسان الأوروبى حرية الحركة فى التجارة ، وفى شئون المال على العموم ، وحرية التفكير والتوجيه السياسى [1] .

وكان الوضع فى البداية قبل الاستعمار تربصاً من جانب المجتمع الأوروبى بالمجتمعات الإسلامية ، وانقضاضاً عليها من جانب ، بينما كان استسلاماً من أى مجتمع إسلامى ، تعرض للتربص والانقضاض ، وقبولاً للوصاية الأجنبية والاستغلال

---

(١) انظر الدكتور محمد البهى ، الفكر الإسلامى والمجتمع الإسلامى ، ص ٥١ ، ٥٢ .

الأوروبى من جانب آخر [1] .

ومما هو مسجل فى صفحات التاريخ : أن المجتمع الإسلامى وقع فريسة للاستعمار ، فقد احتلت بريطانيا : الهند فى سنة ١٨٥٩م ، ومناطق الخليج الإسلامى ، وجنوب شبه الجزيرة العربية فى سنة ١٨٤٩م ، ومصر فى سنة ١٨٨٢م ، والسودان فى سنة ١٨٩٨م ، واحتلت فرنسا : الجزائر فى سنة ١٨٣٠م ، وتونس فى سنة ١٨٨١م ، والمغرب سنة ١٩١٢م . واحتلت إيطاليا : طرابلس الغرب فى سنة ١٩١١م ، واحتلت هولندا : جزر الأرخبيل الإندونيسية تباعاً منذ عام ١٩٠٣م ، وروسيا احتلت القرم قبل القرن التاسع عشر فى سنة ١٨٧٣م وسيطرت بإشرافها على المجتمعات الإسلامية فى وسط آسيا ، وهى : أذربيجان ، وكازاخستان ، وأوزبكستان ، ونوركيستان ، وكزيخستان سيطرة تامة فى القرن التاسع عشر ، ولم يسلم من الاحتلال الأوروبى سوى : اليمن ، والحجاز، وإيران ، ووسط تركيا [2] .

ولا يخفى أن وقوع المجتمعات الإسلامية تحت سيطرة الاستعمار زاد من اتساع السوق الاستهلاكية لمنتجات الغرب الصناعية ، وهذا أدى إلى تفوق الصناعات الغربية ، وكلما قوى المجتمع الأوروبى وتفوق صناعياً ، كلما زادت رقعة استعماره

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥١ .

(٢) راجع هامش الصفحة السابقة من المصدر السابق .

فى قارة أفريقيا وقارة آسيا .

وكلما زادت قبضة أوروبا على ما تم استعماره ، وكلما اتسع نفوذها السياسى والاستغلالى ، كلما زاد ضعف المجتمع الإسلامى ، الذى وقع تحت سلطة الاستعمار ، وزادت تبعيته وتقبله لما يأتى من الغرب .

ويوم أن تحرك المجتمع الأوروبى لاستعمار المجتمعات الإسلامية ، كان فى قمة مجده ، بما أنجزه من الفصل بين الكنيسة والدولة واستقلاله بالسلطة الزمنية ، وبالحرية الفردية ، فى التفكير ، والتوجيه ، وبالحرية السياسية ، كما كان فى أشد الأوضاع حرصاً على اتجاه (العلمانية) كمثال للإنسانية .

اصطحب الاستعمار معه هذا الاتجاه ، بما يستتبعه فى الحكم ، والتوجيه ، والتشريع ، والاقتصاد فى المجتمع الإسلامى الذى يتمكن منه .

وباستصحاب الاستعمار اتجاه العلمانية ، ومحاولة تطبيق هذا الاتجاه فى المجتمع الإسلامى ، وهو مجتمع يغاير فى خصائصه ، وتاريخه ، وواقعه المجتمع الأوروبى ، اضطر هذا الاستعمار إلى أن يسلك طريقاً يمكنه من هذا التطبيق ، وهو عزل المجتمع الإسلامى كلية عن ماضيه ، وعن تراثه العقلى ، والروحى ، والتوجيهى ، والسلوكى ..

فإذا ما تم عزله ، أصبحت قيادته ميسرة ، وطيعة للمستعمر، وبالأخص للأجيال التى تنشأ فى ظل هذه العزلة [1] .

---

(١) راجع المصدر السابق .



المبحث الثالث
الضعف الفكرى

لقد أصيب المجتمع الإسلامى بالضعف الفكرى ، والتفكك الاجتماعى ، وذاق من جراء تلك الإصابة مرارة التأخر .

والضعف الفكرى ، ما أصيبت به أمة من الأمم ، أو مجتمع من المجتمعات ، إلا كانت الخالة انحطاطاً فى التفكير ، واهتماماً بالخرافات والأساطير .

والتفكك الاجتماعى نتيجة حتمية للضعف الفكرى ، لأن الضعف الفكرى لا يكشف للإنسان مخاطر الانزلاق فى الهاوية .

ولهذا نجد أن المجتمعات الإسلامية ، ابتليت بالطوائف المتعددة والمتناحرة ، والمذهبية والتعصبية ، وتعدد السلطنات والدويلات التى قامت على أساس شعوبى أو مذهبى فى هذا المجتمع أو ذاك .

وهذا كله جر المجتمع الإسلامى إلى فوضى قاتلة ، وتناحر حقيقى ، ونهب وقتل دون رادع أو وازع .

ومجتمعاً كهذا لابد وأن يتعرض لسيطرة المتربصين به . لقد كانت السلطة السياسية فى المجتمعات الإسلامية تعيش فى وضع مقلوب ، وفى ذلك الوضع لابد أن تكتمل الصورة المقيتة

لأى امبراطورية على وشك السقوط ، بغض النظر عن اللافتة التى ترفعها .

سواء كانت امبراطورية فارسية ، أو بيزنطية ، أو رومانية، أو عباسية . لابد أن تتفشى الرشوة ، وتكثر مصادرة الأموال ، وتتفاقم الاضطرابات الداخلية مع الانحلال الخلقى ، والانشغال بالتوافه عن الخطر الذى يدق الأبواب (١) .

وأساس انهيار الأمم ، يبدأ من الداخل ، وقد يأتى تدخل خارجى ليعجل بالسقوط ، ولكن يظل الانهيار الداخلى هو بداية النهاية وعاملها الأكبر ، ويأتى الانهيار الداخلى حين تتكون طبقة مترفة تتحكم فى الثروة ، وفى الجماهير ، فتنتشر الظلم ، والانحلال ، وتحيل حياة الأكثرية إلى جحيم تهون فيه الحياة (٢) .

لا شك أن الأمة الإسلامية عاشت فترات من حياتها ، كانت سبباً فى تأخرها وغفلتها ، وطمع الطامعين فى مجتمعاتها .

وأى أمة تضعف فى أفكارها ، ولا تعرف إلا القشور من أمرها ، وتعيش فى تناحر وتمزق ، لابد وأن تسقط ، وينال منها من كان يهابها .

---

(١) انظر الشيخ محمد الغزالى ، تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقل ، ص ١١٠ ، ط : دار الشروق ، بيروت .

(٢) راجع المصدر السابق ، ص ١١٣ .

إن المجتمعات الإسلامية ، حين أصابها الضعف الفكرى ، والتفكك الاجتماعى ، انشغلت بالتافه من الأمور ، فقادتها التفاهة إلى التخلف عن ركب العلم ، والتقدم ، والحضارة .

ومعنى هذا ، أن المجتمعات الإسلامية انصرفت عن تعاليم الإسلام التى تدعو إلى العلم ، والمعرفة ، واستعمال العقل والفكر فى كل ما من شأنه أن يأخذ بالناس إلى الطريق السليم .

وواكب هذا الانصراف انحطاط فى القيم ودعوات إلى الركون إلى المتع ، والعبث بالأموال إلى حد السفه والجنون ، والترف والفجور .

حتى كان قواد هذا الركب فى كل ناد وكل صحيفة ، مع جهل ضارب ، ونفاق ناشب أظفاره ، وفساد فى كل مجتمع وناد ، وتصارع على كل تافه وخسيس من المادة ، وخراب للذمم ، وبيع للشرف ، وكره للقيم ، وضياع للحق ، وهضم للحقوق ، وذبح للفضيلة [1] .

وكان وضع البلاد الإسلامية ، كما صوره شاعر تركيا الإسلامى الكبير محمد عاكف : « يسألنى الناس أنك كنت فى الشرق مدة طويلة . فما الذى شهدت يا ترى ، وما عسى أن يكون جوابى ؟ إننى أقول لهم : إننى رأيت الشرق من أقصاه ،

---

(١) راجع الدكتور توفيق يوسف الواعى ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، ص٦٩٦ .

فما رأيت إلا قرى مقفرة ، وشعوباً لا راعى لها ، وجسوراً متهدمة ، وأنهاراً معطلة ، وشوارع موحشة ، رأيت وجوهاً هزيلة متجعدة ، وظهوراً منحنية ، ورؤوساً فارغة ، وقلوباً جامدة ، وعقولاً منحرفة .

رأيت الظلم ، والعبودية ، والبؤس ، والشقاء ، والرياء ، والفواحش المنكرة المكروهة ، والأمراض الفاشية الكثيرة ، والغابات المحرقة ، والمواقد المنطفئة الباردة ، والحقول السبخة القاحلة ، والصور المقززة ، والأيادى المعطلة ، والأرجل المشلولة .

رأيت أئمة لا تابع لهم ، ورأيت أخاً يعادى أخاه ، ورأيت نهاراً لا غاية له ، ولا هدف ، ورأيت ليالى حالكة طويلة ، لا يعقبها صباح مسفر ، ونهار مشرق [1] .

هذا التخلف أضعف الثقة بالنفس ، وأوقف عجلة التقدم والانطلاق فى الشعوب الإسلامية ، وجعلها تعتمد فى كل شىء على غيرها .

إن التخلف العقلى لا يكمن فى عدم الذهاب إلى الجامعات ، واكتساب المعارف فقط بقدر ما يكمن فى التبلد ، والخمول ، والنوم ، والرضا بالدون ، وموت الهمة [2] .

---

(١) راجع المصدر السابق ، ص ٦٩٦ وانظر أبو الحسن الندوى ، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ص ٣٥ .

(٢) انظر : الدكتور توفيق الواعى ، الحضارة الإسلامية ، مقارنة بالحضارة الغربية ، ص ٦٩٨ .

ومن المؤكد أن الأمة التى تفضل أو ترضى بالتواكل ، والاستجداء والكسل ، والتبعية ، أمة لا تستحق الحياة الكريمة ، لأن الحياة الحرة الكريمة لا تتأتى لأمة دون ثمن والثمن هو التضحية .

ولا يتأتى لأمة أن تشق طريقها فى الحياة ، وأن تستعيد وجودها وكرامتها ، وتعيد صنع حياتها ، دون أن تحاول جاهدة أن تبنى نفسها بناء يتفق مع الاعتداد بالذات .

وقد يكون من المسلمات البدهية : أن فقر الأمة فى جوهره وجذوره ليس فقراً فى السلاح والمعدات ، أو فقراً فى المال والإمكانات ، وإنما يكمن فى فقر النفوس وعجزها ، وضعف الإرادة واضطرابها [١] .

فالتخلف عن ركب التقدم والحضارة يعود بالمجتمعات الإسلامية إلى الانحطاط ويقودها طواعية إلى الهلاك ، كما تقاد الشاة إلى حتفها بظلفها ، ولذا كان هذا التخلف عاملاً من عوامل الغزو الفكرى الذى اجتاح البلاد والعباد .

---

(١) انظر : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح ، معارك حاسمة فى حياة المسلمين ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ ط : دار اللواء بالسعودية ١٤٠٩هـ.



المبحث الرابع

العلمانيــــة

العَلمانية - بفتح العين - نسبة غير صحيحة إلى العالم [1] .

والمعنى ما يقابل روحية كهنوتية ، أو ما يقابل دينية بوجه عام ، والمقصود به أن يتولى قيادة الدولة والحكم ، وأجهزته ومؤسساته وخدماته : رجال زمنيون لا يستمدون خططهم وأساليبهم فى الحكم والإدارة والتشريع من الدين [2] . وإنما يستمدون ذلك من خبرتهم البشرية فى الإدارة والقانون ، وأساليب العيش ، وتكون الروح العامة التى توجه الدولة والمجتمع فى مؤسساته الثقافية والسياسية والتشريعية روحاً غير دينية [3] .

---

(١) د . يحيى هاشم حسن فرغل : « حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب » ، ص٧ ، ط : دار الصابونى بالقاهرة ، سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

(٢) د . محمد يحيى : « ورقة ثقافية فى الرد على العلمانيين » ، ص ٧١ ، ط : الأولى ، مؤسسة الزهراء للإعلام العربى بالقاهرة ، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

(٣) د . روجيه جارودى : « ماركسية العشرين » ، ص ١٤٤ ، ترجمة : نزيه حكيم ، ط : الأولى ، دار الآداب ، بيروت ، سنة ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م .

وفى مقابل ذلك يتولى قيادة الدولة والحكم رجال يستمدون خططهم وأساليبهم فى الحكم من عدة مصادر ، من جملتها : الدين ، وتكون الروح العامة التى توجه الدولة والمجتمع ومؤسساتهما ذات منابع دينية أو متأثرة بالدين [1] .

وقد ينحرف بعض المفكرين فى فهم العلمانية ، فيجعلها نسبة إلى العلم ، وهو خطأ ، لأن مفهوم العلمانية بنسبتها إلى العالم يعنى : توجيه الاهتمام إلى ما يتعلق بالحياة الدنيا ، وإسقاط الاهتمام بالحياة الآخرة ، وبعبارة أشمل وأدق : تعنى إما مجرد استبعاد الدين من توجيه شئون الحياة الدنيا فى السياسة والاقتصاد والعلم والأخلاق والتربية ، وإما أنها تعنى : إسقاط الدين بالكلية ، واعتباره أفيوناً للشعوب يحذرها عن الاهتمام بحياتها التى لا حياة بعدها [2] .

هذا ولما كانت العلمانية بمفهوم الاستبعاد أو بمفهوم الإسقاط تنفى الدين من مجال التأثير فى توجيه شئون الحياة الدنيا ،

---

(١) محمد مهدى شمس الدين : « حول العلمانية » ، مقال بمجلة (الهادى) ، العدد : الثانى ، السنة الخامسة ، ص٩٧ ، سنة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م ، بيروت ، لبنان .

(٢) د . يحيى هاشم فرغل : « حقيقة العلمانية » ، ص ٧ ، د . محمد البهى : « العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق » ص ٣ ، ط : مجلة (الفكر الإسلامى) ببيروت ، محاضرة ألقيت بدار الفتوى ، ٢ من شهر ربيع الآخر ، سنة ١٣٩١هـ - ٢٧ مايو سنة ١٩٧١م .

فإنها بحسب الظروف والدعاوى التى نشأت فى ظلها تستدعى العلم ، ليقوم بهذا التأثير . وهذا هو عذر المخطئين فى الخلط بين مفهوم العلمانية ومفهوم العلم ، وهو فى نفس الوقت : خطأ المعتدلين عن استبعاد الدين باستدعاء العلم ، لأن العلم بطبيعته أداة للتنفيذ ، وليس مرجعاً للتوجيه [1] .

وقد حدثت فى نهاية العصور الوسطى المسيحية فى أوروبا بعض المتغيرات الكبرى التى أدت إلى إحداث بعض الاهتزاز على نظام العلاقات الذى كانت الكنيسة تحتل قمته العليا .

ومن هذه المتغيرات السياسية الدولية : دخول العثمانيين إلى القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ - ١٤٥٣م . والنشاط المالى الذى نتج عن نمو التجارة ، وتبادل السلع والمنتجات بين الإمارات الإقطاعية داخل كل دولة ، وبين الدول نفسها ، وحقل العلوم بإنجاز بعض الاكتشافات المهمة فى الفلك ، والجغرافيا وغيرهما ، والآداب بإحياء التراث اليونانى والرومانى القديم .

هذه المتغيرات فى حقول السياسة والعلم والمال والفن أدخلت - كما قلنا - بعض الاهتزاز على نظام العلاقات الذى ظل سائداً طيلة العصور الوسطى النصرانية ، وأدت إلى طرح أسئلة أساسية حول عدالة الوضع القائم . وبدأت الكارثة حين تبين أن الكنيسة لم تكن مؤهلة لاستيعاب المتغيرات الجديدة ،

---

(١) د . يحيى هاشم فرغل : « حقيقة العلمانية » ، ص٨ ، باختصار وتصرف .

والتكيف معها [1] . فحصل نزاع على السلطة بين رجال الكنيسة وبين رجال الحكومة المدنية ، انتهى هذا النزاع إلى فصل سلطة الكنيسة عن الحياة المدنية ونظام الحكم ، حيث كان للدولة مجال ، وللكنيسة مجال [2] . فحصل صراع بين الكنيسة من جهة والقوى الجديدة فى حقول السياسة والعلم والاجتماع والتجارة وغيرها من حقول الحياة [3] .

وهناك من يعزو أسباب ظهورها إلى ما كانت تهدف إليه الماسونية والمخططات الصهيونية ، والثورة الفرنسية من تحطيم القوائم التى شكلتها النصرانية والكنيسة ، للوقوف فى وجه اليهود ، وصد نشاطهم فى المجتمعات الأوروبية والأمريكية ، إذ أفسدوا الحياة فى أمريكا على وجه الخصوص ، ودمروا الأخلاق والقيم باحتكار تجارة الخمور والبغاء ، والأزياء الماجنة ، والأشرطة الوضعية ، والمسرحيات البذيئة والآداب الساقطة عبر مخطط مدروس ومنظم هذا فضلاً عن إفساد الحياة السياسية والتلاعب البشع بالعالم ككل ، وبالأسعار والأسواق ، وامتصاص الفوائد الربوية الباهظة ،

---

(١) محمد مهدى شمس الدين : « حول العلمانية » ، ص ٨٥ .

(٢) د . مبارك حسن حسين : « التيارات الفكرية والحياة المعاصرة » ص ١٧٠ ، ط : دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

(٣) محمد قطب ، « العلمانية » .

والتآمر على الحكومات والشعوب ؛ إذ هدفهم الأساسى : تحطيم العالم فى عقائده ، وأخلاقه وروابطه ، حتى يتمكنوا من القفز إلى السلطة العالمية بلا مقاومة (١) . ولم يروا سبيلاً لتطبيق صهيونيتهم ومخططاتهم إلا عن طريق الدعوة العلمانية ، أى : الفصل بين الدين والدولة ؛ وبذلك يستطيع اليهود أن يبثوا نشاطهم فى المجتمعات الأوروبية وغيرها من المجتمعات النصرانية ، ويأخذوا مكانتهم فيها (٢) .

ومن خلال ما سبق من سطور ، يتبين : أن الدعوة العلمانية كان لها أبعد الأثر فى الفكر الغربى ؛ إذ سادته عوامل أربعة مهمة ، هى :

١ - نظام الاقتصاد القائم على الربا .
٢ - القانون الوضعى المنفصل عن شرائع الله - سبحانه وتعالى - .
٣ - التعليم اللادينى المتحرر من نفوذ الكنيسة المتسلطة .
٤ - ما يسمونه بالديمقراطية التى تحل الإيمان بالدولة محل الإيمان بالعقيدة (٣) .

---

(١) د . عبد الستار فتح الله سعيد : « معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، دراسة علمية قرآنية » ص ٤٧ - ٤٨ ط : دار النصر للطباعة الإسلامية بمصر .

(٢) أنور الجندى : « سقوط العلمانية » ص ١٧ ، ط : دار الاعتصام بالقاهرة ، سنة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .

(٣) أبو الأعلى المودودى : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ص ١٢٦-١٢٨ ط : دار الخلافة بالقاهرة ، بتصرف واختصار .

والعلمانية أولاً وأخيراً - كما دلتنا البحوث - : عبارة عن أمرين متكاملين ، لا تكون الدولة علمانية بدونهما هما :

الأول : مصدر الشرعية فى السلطة السياسية .

الثانى : التشريع الدستورى والقانونى فى الدولة .

فبالنسبة للأمر الأول : تعنى العلمانية أن الشرعية التى تخول السلطة السياسية أن تحكم المجتمع وتسيره وفقاً لمفاهيمها وخططها غير المستمدة من الدين ، فالله - سبحانه وتعالى - أو الدين ليس مصدراً للشرعية التى تتمتع بها السلطة السياسية فى الدولة العثمانية ، ولا تتوقف شرعية السلطة السياسية على أن تنال اعترافاً بها من السلطة الدينية [1] .

وبالنسبة للأمر الثانى : تعنى العلمانية لدى دعاتها : أن يقوم التشريع القانونى والدستورى فى المجتمع والدولة ، على أساس غير دينى ، ويشمل ذلك كل مجالات التشريع والحياة [2] .

وبجانب نفوذ الشرق والغرب فى العالم الإسلامى ، نجد أن سماسرة العلمانية يروجون لها فى البلاد الإسلامية بمجموعة من الخرافات :

---

(١) محمد مهدى شمس الدين : حول العلمانية ، ص ٨١ بتصرف .

(٢) المصدر السابق ، بتصرف .

الأولـى : أنها سر التقدم فى أوروبا .

الثانية : أنها الأسلوب الوحيد لتحرير العلم من الدين .

وكل هذه الخرافات لا واقع لها ، ولكنها جاءت على ألسنة سماسرة الإلحاد والعلمانية والتخريب . وليس من شأنى أن أعرض لهذه الخرافات أو أرد عليها ، وما كانت الخرافات يوماً تستحق المواجهة لولا أن لهذه الخرافات سماسرة وذيولاً .

وإن الباحث فى أمر العلمانية : يجد أن تركيا هى الدولة المسلمة فى الشرق التى أعلنت العلمانية الغربية أساساً لسياستها ، منذ تولى مصطفى كمال أتاتورك السلطة فيها ، وذلك بعد الحرب العالمية الأولى .

والواقع أن تركيا فى قبولها للعلمانية كانت مجبرة ، وقصد الحلفاء الغربيون من إعلان تركيا العلمانية ، وفصل الإسلام عن الدولة ، وهى مركز الخلافة الإسلامية أمرين :

الأمر الأول : إلغاء الخلافة الإسلامية كأداة تجميع للمسلمين ، عرب وعجم ، على السواء فى أسيا وأفريقيا ، إذ سيترتب على إلغاء الخلافة : إمكان تمزيق المسلمين إلى عرب ينطقون بالعربية ، وغير عرب ينطقون بلغاتهم الوطنية ، وعندئذ يمكن المناداة بالقومية العربية لتوسيع الهوة بين المسلمين ، ثم لكى لا تكون للقومية العربية فاعلية بعد عزل العرب عن غيرهم من المسلمين [1] .

---

(١) د . محمد البهى : « العلمانية والإسلام » ص ٦٦ ، مجلة (الفكر الإسلامى) ، بيروت .

الأمر الثانى : الذى قصده الحلفاء المنتصرون فى الحرب العالمية الأولى .

ولا يخفى على باحث أن خطط الاحتلال أو ما يسمونه بالاستعمار والمذاهب الهدامة مهدت إلى تقبل الفكر العلمانى ، ثم الإيمان به . وقد شهدت المجتمعات المسلمة أعنف موجة ثقافية تعمل للانسلاخ الكامل عن الإسلام ، وقد تزعمها المثقفون المتفرنجون الذين تربوا تربية أوروبية ، وتثقفوا بالثقافة الغربية فى معاهد العلم الإنجليزى والفرنسى ، وكان من الطبيعى أن يعود هؤلاء الشباب بعد تعليمهم فى فرنسا وإنجلترا بآراء حديثة تتمثل فى التحرر الفكرى ، والتحرر الاقتصادى ، وتتجه بأنظارها إلى هذه الدول الأوروبية كمثل أعلى ، تحاول تقليده ، وأكملت هذه المجموعة من الجيل الناشىء مجهودات بعثات التبشير والبعثات العلمانية التى كانت تعمل فى البلاد [1] .

ويمكن أن نلمس هذا الإعجاب والتقليد بالغرب عند رفاعة رافع الطهطاوى ، فكل ما كتبه هو صدى لتفكير أوروبا ، وبخاصة فرنسا ، وأفكاره لأول مرة تظهر فى المجتمع المسلم ، وربما رددها عن حسن قصد ، دون أن يسبر أغوارها ، ولكنه على كل حال قد وضع البذور للأخذ بنظم الغرب العلمانية ، ثم

---

(١) د . السيد أحمد فرج : « جذور العلمانية » ص ٧١-٧٢ ، ط : دار الوفاء بالمنصورة ،سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

تعهد من جاء بعده بالسقى والرعاية ، حتى نمت وضربت جذورها فى الأرض (١) .

فلأول مرة فى البيئة المسلمة نجد كلاماً عن الوطن والوطنية وحب الوطن بالمعنى القومى الحديث فى أوروبا ، ولأول مرة نجد كلاماً عن الحرية بوصفها الأساس فى نهضة أية أمة وفى تقدمها (٢) . ثم نرى بعد ذلك كلاماً كثيراً عن المرأة ، لا شك فيه أنه من وحى الحياة الاجتماعية الأوروبية ، مثل : تعليم البنات ومنع تعدد الزوجات ، واختلاط الجنسين (٣) .

فاستطاع المستعمرون أن يكونوا من العناصر الضعيفة الإيمان قوى منظمة بعضها أحزاب سياسية ، وبعضها اتجاهات فكرية تربت على عين المحتل الحاقد وسمعه وحشيت أذهانها بما أملاه أعداء الإسلام ، وظل الشعور بالنقص والتبعية للغرب هو إحساسهم الدائم (٤) .

---

(١) د . محمد محمد حسين : « الإسلام والحضارة الغربية » ص ١٨-١٩ ط : الخامسة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

(٢) د . محمود فهمى حجازى ، « أصول الفكر العربى الحديث عند الطهطاوى » ، ص ٦٤-٦٥ ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

(٣) المصدر السابق ، ص ٧٩ .

(٤) د . سفر بن عبد الرحمن الحوالى : « العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها فى الحياة الإسلامية المعاصرة ، ص ٥٤٢ ، ط : دار مكة ، سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

واختير من تلك القوى أفراد قدر المحتل أنهم أفضل المطايا له ، فصنع لهم بطولات ضخمة ، وأثار حولهم الغبار الكثيف ، حتى خيل للأمة أن على أيديهم مفتاح نهضتها وبناء مجدها ، فطأطأت لهم الرأس حتى إذا تمكنوا منها أنزلوا بها من الذل والدمار وخراب العقيدة ما لم تذقه علي يد أسيادهم [1] .

وبهذا نجحت خطة المحتلين الكفرة والمنصرين فى فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية ، دون جلبة ولا ضوضاء [2] .

وقد بلغت هذه الخطة أقصى مداها على يد « كرومر » فى مصر ، ولأن مصر أكبر الدول الإسلامية العربية ، فقد كان تأثيرها بالتالى كبيراً على الأمة الإسلامية ، ساعد على ذلك رغبة مستترة من هذه الأمم المغلوبة فى تقليد الأمم الأوروبية الغالبة ، وهو تقليد جرهم إلى الاعجاب بالأوروبيين والاستكانة لهم ، والرضا بسلطتهم عليهم [3]

وقد ظهرت أمارات المنهاج العلمانى فى البلاد العربية والإسلامية من خلال النظم السياسية السائدة فى العالم العربى والإسلامى ، وهو المنهاج الذى يقوم على أساس إنشاء برلمان ودستور وأحزاب ، كما هو حاصل وواقع فى معظم البلدان

---

(١) المصدر السابق. (٢) د. السيد أحمد فرج : « جذور العلمانية » ص ٤٤ .

(٣) عبد القادر المغرى : « جمال الدين الأفغانى ، خاطرات وأحاديث » ص ٩٨ ، سلسلة كتاب « اقرأ » رقم ٦٨ ، ط : الثانية ، دار المعارف .

العربية والإسلامية [1] .

وإن المتتبع لنشاط التنصير والاستشراق : يجد أن هذا النشاط يركز على النقاط المذكورة آنفاً ، مما يؤكد أن التنصير والاستشراق والعلمانية تهدف فيما تهدف إلى إبعاد الإسلام عن المسلمين . وبعبارة أخرى : إبعاد المسلمين عن الإسلام سلوكاً ونظاماً .

وإذا كان ما أعلنته تركيا من الفصل بين الدين والدولة حدثاً علمانياً رسمياً ، فإن الاحتلال الصليبى الوثنى الغربى مارس الفصل بين الدين والدولة فى الدول التى سيطر عليها فى تدرج وفى إحكام ، وذلك فى غيبة من الوعى الإسلامى ، ولم يفلت أى بلد إسلامى أو أكثرية إسلامية فى آسيا وأفريقيا من الاستعمار الغربى ، ومن ممارسات الاستعمار العلمانية .

ومما يجدر أن يلحظه الباحث : أن مجال التعليم ظهر فيه المنهاج العلمانى واضحاً فى الدعوة إلى إحياء الدراسات التاريخية السابقة للإسلام ، وإحياء الحضارات القديمة ، كالحضارة الفرعونية فى مصر ، والفينيقية فى الشام ، والبابلية ، والآشورية فى العراق ! بقصد عزل العالم العربى والإسلامى القائم على منهاج كامل للحياة ، ورابطة قوية تجمع شمل العرب والمسلمين على رابطة الأخوة والدين . كما أن هناك دعوة تحاك إلى تمصير اللغة ، وتمصير الأدب ، وتمصير

---

(١) أنور الجندى : « سقوط العلمانية » ، ص ٢٦-٢٧ بتصرف .

القانون ، وتمصير التربية ، وتمصير التاريخ . وكلها محاولات علمانية تريد القضاء على مفهوم الرابطة العربية القائمة على أسس وطيدة عميقة الجذور من اللغة والتاريخ [1] .

ومما لا يفوت الباحث : أن المحتلين افتتحوا مدارس غربية ، قلباً وقالباً فى المراكز الثقافية الكبرى للعالم الإسلامى ، ورسموا المخططات لاستئصال التعليم الأصلى ، ومنها المدارس التى أنشئت فى لاهور ، وبيروت ، وإسلامبول ، والقاهرة ، وغيرها ، عدا المدارس الأقل شأناً التى انتشرت فى الهند وبلاد الشام ومصر ، وبصفة أظهر فى بلاد المغرب [2] .

ومما لا شك فيه : أن هذه المدارس كان لها أعظم الأثر فى توجيه النهضة الفكرية وجهة لا دينية ، وتوسيع الهوة بين التعليم الدينى واللادينى [3] .

وأن المرحلة التاريخية التى يعيشها المسلمون منذ غزو العالم الإسلامى تفيد : أن نفى إسلامية المسلم لن ينجح ، إلا بتفريغ المسلم من تاريخه وحضارته ، وكافة مقوماته المميزة له ، ومن الشعور بالانتماء ، وهذا لن يتأتى إلا باستمرار التدفق الثقافى والحضارى الغربى [4] .

---

(١) د . مبارك حسين : « التيارات الفكرية والحركات المعاصرة » ، ص ١٨٥ .

(٢) د . سفر بن عبد الرحمن الحوالى : « العلمانية ، نشأتها وتطورها وآثارها فى الحياة الإسلامية المعاصرة » ، ص ٥٩٣-٥٩٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٩٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٢٧ بتصرف .

المبحث الخامس

الماسونيـــة

وللماسونية تعاريف كثيرة أهمها :

- أنها جمعية سرية لم تعرفها بلاد الإسلام إلا فى العصور المتأخرة ، آخذة إياها عن البلاد الغربية من فرنسية وإنجليزية وإيطالية وألمانية وغيرها (١) .

- الماسونية لون من نشاط اليهود المعادى للأديان عموماً والإسلام على الأخص ، وهى جمعية سرية أنشأها اليهود ليمارسوا من خلالها الأعمال التى توصلهم إلى أهدافهم وأغراضهم (٢) .

- إن الماسونية شركة سرية غايتها : تقويض أركان أى سلطة ، دينية كانت ، أو مدنية (٣) .

---

(١) فتحى يكن : « حركات ومذاهب فى ميزان الإسلام » ، ص ٥٣ ، ط : دار الجيل ، بيروت ، سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

(٢) مجلة (الجندى المسلم) العدد ٢٧ ، ص ٧٠ .

(٣) الأب لويس اليسوعى : « السرامصون فى شيعة الماسون » ، ص ٤٣ ، ط : دار الكتاب العربى ، بيروت ، سنة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .

- هى جمعية سرية تحمل أهدافاً سرية ، غاية فى الخطورة [1] .
- الماسونية هى الجمعية التى تعمل فى الخفاء « للاستيلاء على العالم عن طريق بث أفكارها » [2] .

ولا يخفى على أهل البحث والدراسة : أن الماسونية كانت ابتكاراً واختراعاً يهودياً بهدف استقطاب الجاليات اليهودية فى العالم كله وجمعهم بفلسطين سعياً وراء غايتهم المنشودة وهى : إعادة تأسيس مملكة إسرائيل ، وإعادة مجد « يهوذا » تحت لقب « الحكومة العالمية » لتسيطر على العالم كله سياسياً واقتصادياً ، وفكرياً ، وعقدياً [3] .

والتاريخ لم يعرف منظمة سرية أقوى نفوذاً وخطورة من الماسونية .

وإذا كان هذا شأن الماسونية من حيث النشأة والنفوذ ، فإن عقيدتها تزعم فى الظاهر أمام الناس ، وبخاصة البسطاء والجهال ، أنها تعتقد بوجود إله واحد واجب الوجود ، أزلى قديم

---

(١) مجلة (الجندى المسلم) المجلد ٢٧ ص ٧٠ .

(٢) الجنرال (جواد رفعت أتلخان) : « أسرار الماسونية » ، ص ٢٦ ط : الأولى ، المختار الإسلامى بمصر سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

(٣) د . مبارك حسن حسين : « التيارات الفكرية » ، ص ١٣٩ ، د . صابر طعيمة : « الماسونية والصهيونية والشيوعية غاية وهدفاً » ، ص ١٥ ، ط : دار الفكر العربى ، بيروت .

قادر على كل شىء ، خالق كل شىء بمشيئته ، كل مخلوق يحتاج إليه ، ولا يحتاج هو إلى أحد من المخلوقين .

أما بالنسبة للأخلاق وانحلالها ، فإن الجمعيات الماسونية تؤدى الدور الذى تقوم به - بخبث ومكر ودهاء - جمعيات الانحلال الخلقى ، والمطبوعات الفاضحة والممارسة المشينة - والجمعيات الماسونية لها أعضاء فى كل مؤسسات المطبوعات الجنسية الفاضحة ، وهدفها : إشاعة الانحلال الأخلاقى بين أصحاب الأديان .

وإن المتتبع لدعوات الماسونية : يجد أن من هذه الدعوات تحريم الجهاد فى جميع المذاهب والأديان ، ماعدا الماسونيين ، فإنهم يجاهدون ضد أعدائهم لانتصار مبادئهم ونجاحها [1] .

ونستطيع بعد هذا أن نعرض بعض أفكار الماسونية ومعتقداتها التى تشكل خطورة أساسية فى سبيل التقدم وانتشار الإسلام ، ومن تلك الأفكار والمعتقدات :

- أنها تكفر بالله - سبحانه وتعالى - ورسله - صلوات الله وسلامه عليهم - وكتبه وبكل الغيبيات ، ويعدون ذلك خزعبلات وخرافات .
- تعمل على تقويض الأديان ، والإسلام بصفة خاصة .
- تعمل على إسقاط الحكومات الشرعية ، وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية فى البلاد المختلفة والسيطرة عليها .

---

(١) د . مبارك حسن حسين : « التيارات الفكرية » ، ص ١٤٧ بتصرف .

- إباحة الجنس ، واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة .
- العمل على تقسيم غير اليهود إلى أمم متنابذة تتصارع بشكل دائم .
- تسليح هذه الأطراف ، وتدبير حوادث لتشابكها .
- بث سموم النزاع داخل البلد الواحد ، وإحياء روح الأقليات الطائفية العنصرية .
- تهديم المبادىء الأخلاقية والفكرية والدينية ، ونشر الفوضى والانحلال والإرهاب والإلحاد .

المبحث السادس
حركة التغريب

أولاً: التعريف :

لجأ أعداء الإسلام إلى طرق عدة ، لهدم الإسلام ، وإعاقة انتشاره ، وإخراج أبنائه من هديه ، وكان من أقوى وسائلهم تأثيراً وأشدها إثماراً ما يسمى : بحركة التغريب .

والتغريب تيار كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية ، يرمى إلى : صبغ حياة الأمم بعامة ، والمسلمين بخاصة ، بالأسلوب الغربى ليكونوا أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية (١) .

ثانياً: الأهداف :

سعى أعداء الإسلام فى هذه الحركة ، وهدفهم الرئيسى هو إضعاف الإسلام ، وإيقاف حركته ؛ بل وقتله فى أرضه .

---

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامى : « الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة » ، ص ١٤٥ ، محمد المبارك : « الفكر الإسلامى الحديث فى مواجهة الأفكار الغربية » ، ص ١٠٢ ، ط : الأولى ، دار الفكر العربى ، بيروت ، سنة ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م ، أنور الجندى : « تصحيح المفاهيم فى ضوء الكتاب والسنة » ، ص ٢٠ ط : دار الاعتصام بالقاهرة ، سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

وما قلناه – آنفاً – فيه شيء من الإجمال ؛ إذ أن حركة التغريب قد هدفت إلى هدفين رئيسيين هما :

١ – تشكيك المسلمين فى دينهم ، الذى اكتشف رواد هذه الحركة : أنه أكبر عقبة فى طريق سيطرتهم على البلاد ؛ ولتحقيق ذلك قام الغرب بحملة كبرى لغسل الدماغ الإسلامى ، وكسب المريدين والأتباع من أهل البلاد [١] .

٢ – إيهام المسلمين أن الحضارة الغربية حضارة عالمية ، وأنها ثمرة تجارب الإنسانية وعلى هذا فلا مناص لمن أراد التقدم أن يتبنى مفاهيمها ، ويقتبس نظمها ؛ وأن يربط مصيره بمصيرها [٢] .

وقد صدرت منهم عبارات كثيرة ، تصور هذين الهدفين تصويراً دقيقاً من ذلك : ما قاله المنصر « وليم جيفورد بالكراف » : « متى توارى القرآن من بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى طريق الحضارة الغربية ، بعيداً عن محمد وكتابه » [٣] .

---

(١) أنور الجندى « عقبات فى طريق النهضة » ، ص ٢٠ ، ط : دار الاعتصام .

(٢) المصدر السابق .

(٣) جلال العالم : « قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام ، أبيدوا أهله » ، ص ١٢٤ ، ط : دار الاعتصام بالقاهرة ، سنة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

لقد جمع هذا الخبيث الماكر فى كلمة « القرآن » كل ما يمس حياة المسلمين ؛ لأنه هو مصدر حياتهم ، ومورد بقائهم ، ومتى سلب من أعمالهم ضاعوا وتاهوا ، وتخبطوا فى كل معترك ، حتى يقعوا فى الهاوية .

ثالثاً: أساليب التغريب :

استخدمت حركة التغريب وسائل كثيرة وطرقاً متعددة ، متمايزة فى التأثير ، متفاوتة فى القبول ، منها : المباشر ، ومنها : غير المباشر ، ومنها : المادى ، ومنها : المعنوى ، ومنها : الأجنبى ، ومنها : المحلى [1] .

وقد اتخذت خطط التغريب أساليب منظمة ، يراعى فيها : طول زمن التنفيذ ، والتخفى والتستر ، حتى لا تنتبه الأمة المسلمة إلى هذه المخططات الغادرة ؛ بل تظل غافلة عنها حتى تستحكم ، ويصعب التخلص منها [2] .

ومن أكثر الأساليب المتخذة ، وأشدها خطراً : استخدام أبواق من أبناء الأمة الإسلامية تنفخ فيها ما تريد . هذا ولا ريب أسلوب شديد التأثير ، قوى الفاعلية ، فالأمة الإسلامية ستنكر أى صوت من غير دينها وجنسها ، وتبقى أمامه مسددة الآذان ،

---

(١) د . حسان محمد حسان : « وسائل مقاومة الغزو الفكرى للعالم الإسلامى » ، ص ٦٤ .

(٢) محمد محمود الصواف : « المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام » ، ص ١٧ .

غير آبهة بما يقول .. أما إذا كان صاحب الصوت من جنسها ، ومن دينها - كما يزعم - فسيكون له نصيب من القبول [1] .

لهذا زرعت حركة التغريب بين المسلمين ، نبات سوء ، ودعاء شر ، ظلت تسقيهم من مائها ، وتسكب فى عقولهم من لوثتها ، حتى صاروا تلاميذ نجباء لهم ، وأبواقاً تحسن الصفير بما يملى عليها [2] .

ومن الأساليب الخبيثة التى استخدمت التغريب : أسلوب الإقناع القائم على التشكيك إذ يقومون بتشكيك أبناء هذه الأمة فى تعاليم ومباءىء دينها ، ومدى توافقها مع العصر ذى التطور والرقى ، حتى إذا تم ذلك استعمل أسلوب الإقناع بأخذ البديل من الحضارة الغربية [3] .

وقد نجح هذا الأسلوب نجاحاً باهراً ، فأخذ بحضارة الزيف والكفر ، وتركت الحضارة التى ارتقت بالإنسان ، والأمثلة على هذا كثيرة جداً فمنها مثلاً : الدعوة إلى تحرير المرأة ؛ إذ بدأوا

---

(١) د . على محمد جريشة : « أساليب الغزو الفكرى » ص ٥٨ ، د . جلال يحيى : « المجمل فى تاريخ مصر الحديثة » ص ١٨٧ ، ط : الثانية ، المطبعة المصرية ، سنة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م . الناشر : المكتب الجامعى الحديث .

(٢) المصدر السابق .

(٣) محمد محمود الصواف : « المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام » ، ص١٢٤-١٢٥ .

بالتشكيك فى إنصاف الإسلام للمرأة ، فقد ظلمها وضيق عليها ، وجعلها بمنزلة المتاع الساقط ، أما الحضارة الغربية : فقد فتحت لها باب الحياة وجعلتها إنساناً متكامل الحقوق ، فخذوا أسلوب هذه الحضارة وحرروا المرأة [1] !!! .

رابعاً:مجالات التغريب:

رأى قادة حركة التغريب أن التغريب لن يكون ذا ثمرة ، إلا إذا تناول مجالات معينة تتسم بالحساسية الشديدة ، والأهمية العظمى ، والقرب من الفكر والميدان العام ؛ لهذا كانت المجالات التى تناولها التغريب مجالات حيوية ، تمس المجتمع ، وتعالج الفكر الذى هو شريان الأمة النابض بحياتها .

وفيما يأتى تناول لأهم المجالات التى كانت ميداناً لتغريب الأمة المسلمة ، وأثر ذلك فى حياة الأمة :

أولاً : التعليم :

التعليم من أكبر المجالات التى نالت نصيباً كبيراً من حركة التغريب ، وقد استهدف تغريب التعليم عدداً من الأهداف ، من أهمها :

---

(١) د . على محمد جريشة : « أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى » ص ٥٥-٥٨ .

١ - القضاء على الذاتية الإسلامية المتسمة بأخلاقها ومبادئها وتعاليمها السماوية ، المرتبة بالقرآن الكريم ، وبالسنة المطهرة .
٢ - القضاء على الفصاحة العربية التى أوجدتها منابع البلاغة العربية المتمثلة فى القرآن الكريم ، إذا استطاعت وسائل التعليم الحديثة ومناهجه أن تبتر الصلة بين الشباب المسلم وتراثه العريق .
٣ - القضاء على الإحساس بعظمة العطاء الذى قدمته الأمة المسلمة للبشرية ، إذ قدمت لها : منهاج الحضارة الذى حرر الإنسان من عبودية الإنسان ، وحرر العقل البشرى من عبودية الوثنية والخرافة .

ثانياً:الحياة الاجتماعية:

الحياة الاجتماعية وما يسودها من قيم خلقية ، وآداب سلوكية وما يحيط بها من عادات وأعراف وتقاليد ، هدف ضخم من أهداف التغريب ، عملوا على تدميرها وضربها بمختلف الموجات المسمومة ، وطرح المجتمع المسلم فى المفاسد التى تحطم أفراده (١) .

وكان تغريب المرأة له الأولوية والأهمية الكبرى ، لأن إفساده المرأة إسراع بإفساد المجتمع كله (٢) .

---

(١) المصدر السابق ،ص ٢٢١ .

(٢) د . على عبد الحليم محمود : « الغزو الفكرى » ص ١٢٢ .

ثالثاً:الاقتصاد :

لقد امتدت خطوات تدمير المجتمع المسلم إلى عدد من الميادين منها : مجال الاقتصاد الذى هو من أهم جوانب الحياة تأثيراً فى المجتمع (١) .

رابعاً:الإعلام :

الإعلام هو التعريف بقضايا العصر ، وبمشكلاته ، وبكيفية علاجها فى ضوء النظريات والمبادىء التى اعتمدت لدى كل نظام (٢) .

وقد استغلت حركة التغريب هذه الوسيلة التى تخاطب الملايين مباشرة فحركوها وفق ما يريدون من تخريب وإفساد (٣) .

ومن أبرز وسائل الإعلام الصحافة ، التى كتبت بتلك الأيدى الحاقدة ، فنشرت كل ما يسىء للإسلام ويخدم أغراضه ، وحققوا

---

(١) أنور الجندى : « عقبات فى طريق النهضة » ، ص ٢٥١.

(٢) د . عمارة نجيب : « الإعلام فى ضوء الإسلام » ص ١٦ ، ط : مكتبة المعارف بالرياض ،سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٧ .

هدفهم وهو : إشاعة التفاهة ، وتزييف الحقائق ، وحبس الناس في مجال البلاهة [1] .

ومن الملاحظ على سائر وسائل الإعلام فى العالم الإسلامى كله : أنها لا تعمل إلا فى خط واحد ، ونغمة يكمل بعضها بعضاً ، حتى تبنى وتشكك كما تشاء فى وحدة متكاملة ، بحيث تضمن فى النهاية تشكيل قيادات وأفراد وغزو عقول وشخصيات ، واحتلال أفكار ومفاهيم ، ودفن تشريعات وقيادات ، وزرع تنظيمات وسلوكيات ، وهى لا تقتصر على مؤسسة واحدة ، بل تمتد إلى سائر المؤسسات ، ولا تكتفى ببعد واحد ؛ بل تتناول سائر الأبعاد ، وبذلك كله تحاول غزو المسلم داخل بيته وخارجه وفى تربيته واقتصاده ، وفى إدارته وسياسته وفى صغره وكبره ، وفى رجاله ونسائه ، وفى ريفه وحضره [2] .

وتأتى بعد الصحافة : الإذاعة والتليفزيون ، وتأتى خطورة الإذاعة والتليفزيون فى أنهما يدخلان كل بيت ، ويغزوان مختلف المستويات ، ويؤثران فى كثير من المواقف .

---

(١) أنور الجندى : « عقبات فى طريق النهضة » ، ص ١٧٥-١٧٦ .

(٢) د . حسان محمد حسان : « وسائل مقاومة الغزو الفكرى » ص ٧٧ .

المبحث السابع
الغزو الفكرى

وقضية الغزو الفكرى ، أصبحت اليوم من أشد القضايا خطراً ، وتبدو ظواهر هذا الغزو المدمر فى قلوب وعقول كثير من المثقفين فى هذا العصر واضحة بينة .

والسلاح الذى يستعمله « الغزو الفكرى » مدمر قتال ، يؤثر فى الأمم والمجتمعات أكثر مما يؤثر المدفع والصاروخ والطائرة .

وقد ينزل إلى الميدان ، ويعظم خطره ، حين تخفق وسائل الحديد والنار فى تحقيق الهدف ، والوصول إلى الغاية ، والخطر الذى يخلفه هذا الغزو أكثر من قتل الأفراد ، بل من قتل جيل بأسره ، إذ يتعدى ذلك إلى قتل أجيال متعاقبة ، والسلاح الذى يستعمله هذا الغزو هو سلاح الحيلة والشبهات وتحريف الكلم ، والخديعة فى العرض [1] .

مما لا ينكر : أنه لم يواجه دين من الأديان ، ولا عقيدة من العقائد ، مثل ما واجه الإسلام من تحديات ، فقد واجه الإسلام منذ فجر تاريخه ، تحديات عنيدة من مخالفيه .

---

(١) راجع : إبراهيم النعمة ، المسلمون أمام تحديات الغزو الفكرى ، ص ٧ ط شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة ، العراق ١٩٨٦م .

فقد واجه المشركين فى مكة ، واليهود فى المدينة ، ثم لما فتحت الأمصار ، وانتشر الإسلام فيها واجهت الثقافة الإسلامية أفكاراً شعوبية إلحادية ، وفلسفات وثنية ، كالفلسفات الفارسية ، واليونانية والهندية ، وغيرها .

ولكن الإسلام ثبت أمام هذه التحديات ، وانتصر عليها . فقد كان المجتمع الإسلامى آنذاك يعى الإسلام وعياً كاملاً ، ويدرك أخطار الأفكار والاتجاهات التى كان يطرحها الفلاسفة والزنادقة ، وما تحمله من شبهات .

وهى فى جملتها تعمل على نقل الفكر من مجال أصالة الفطرة ، ومنطق العقل الصحيح ، وطريق التوحيد ، وطابع الإيمان إلى مجال الإباحية . غير أن المجتمع تصدى لهم ، وأخذ يكشف زيفهم ، ويبين ما انطوت عليه قلوبهم من كيد ، ولم تستطع أن تنال من الإسلام عبر العصور .

على أن أخطر هذه التحديات هى تلك التى تواجهها المجتمعات الإسلامية اليوم ، وهى تحديات تتمثل بالمواجهة السافرة حيناً ، والمستترة أحياناً ، هذا التحدى الذى يتمثل حالياً بالغزو الفكرى الغربى (١) .

فأصحاب المذاهب والنظريات المعادية للإسلام ، ما سكتوا عن الإسلام ، منذ أن أشرق على الأرض ولا يزالون يتحركون

---

(١) عز الدين الخطيب التميمى وآخرين ، نظرات فى الثقافة الإسلامية ، ص ٣١ دار الفرقان ، عمان ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ، الأردن .

ليكيدوا للإسلام والمسلمين . ولا زال الغزو الفكرى للإسلام والمسلمين . يستهدف الجذور ، ويركز على تشويه الأصول .

والحركات الهدامة ، والتيارات المختلفة تحاول جهدها أن تعيق العمل الإسلامى . كى لا ينطلق بالمسلمين إلى كل ما من شأنه أن يأخذ بالأمة إلى الاستثمار والتنمية والإنتاج والتقدم .

وقد لا يكون المرء مجانباً للصواب إذا تأكد لديه : أن ما تعانيه الأمة الإسلامية من هزائم فكرية ، واقتصادية ، وسياسية ، هو نتيجة حتمية ، لتغلغل التيارات ، والحركات الهدامة التى تنخر فى عظام الأمة .

وإن أخص صفات عصرنا هى أنه ينتج من الأفكار بقدر ما ينتج من الأشياء ، وليس من الضرورى أن نتطلب من الأفكار المنتجة أن تكون نافعة دائماً كالأشياء ، فإن المجتمعات التى تصدر إلينا أشياء الحضارة ، ترى فى الأفكار سلعة ينبغى أن تتغير كل يوم .

ومما لا شك فيه أن العالم الإسلامى هدف ثمين من أهداف تصدير الأفكار ، نظراً إلى موقعه ، وخطورة موقفه بين الكتل المتصارعة .

والهدف من وراء التصدير واحد لدى مراكز الإنتاج ، وهو أن يبقى هذا العالم مفتقراً إليها على اختلافها ، وأن يحال بينه وبين أفكاره الأصلية .

إن هذا الغزو الفكرى الذى يجتاح الشعوب الإسلامية يهدف فيما يهدف إلى :

١ - أن تظل الشعوب الإسلامية خاضعة لنفوذ القوى المعادية لها تلك القوى التى تتمثل فى عدد محدود من الدول الكبيرة التى تحمى بعضها بعضاً .

٢ - أن تظل بلدان العالم الإسلامى خصوصاً ، والعالم النامى عموماً تابعة لتلك الدول الكبيرة المتقدمة ، تبعية غير منظورة ، وفى هذه التبعية يكمن دهاء تلك الدول المتبوعة وذكاؤها فليس أقتل للشعوب من أن تحس بالحرية والاستقلال بينما هى ترسف فى قيود الذل والتبعية . وليس أضيع لمستقبل أمة من أن تعجز عن أن تخطط لمستقبلها ومصيرها إلا وهى دائرة فى فلك دولة كبيرة واهمة ذاهلة عن حقيقة ما تعنيه من تبعية .

٣ - أن تتبنى الأمة الإسلامية أفكار أمة أخرى من الأمم الكبيرة دون نظر فاحص وتأمل دقيق ، مما يؤدى إلى ضياع حاضر الأمة الإسلامية فى أى قطر من أقطارها ، وتبديد لمستقبلها فضلاً عما فى ذلك من صرف عن منهجها وكتابها ، وسنة رسولها .. وما يترتب على هذا التصرف من ضياع .

٤ - أن تتخذ الأمة الإسلامية مناهج التربية والتعليم لدولة من هذه الدول الكبيرة فتطبقها على أبنائها وأجيالها فتشوه بذلك فكرهم وتمسخ عقولهم وتخرج بهم إلى الحياة وقد أجادوا بتطبيق هذه المناهج عليهم شيئاً واحداً هو تبعيتهم لأصحاب تلك المناهج الغازية أولاً ثم يلتبس الأمر عليهم بعد ذلك فيحسبون أنهم على صواب ثم يجادلون عما حسبوه صواباً ويدعون إليه ، وهم بذلك يؤكدون تبعيتهم من جانب آخر فيعيشون الحياة وليس لهم منها إلا حظ الأتباع والأذناب .

٥ - أن يحول العدو بين الأمة الإسلامية وبين تاريخها وماضيها وسير الصالحين من أسلافها ليحل محل ذلك تاريخ تلك الدول الكبيرة الغازية وسير أعلامها وقادتها .

٦ - أن تزاحم لغة الغالب لغة المغلوب فضلاً عن أن تحل محلها أو تحاربها بإحياء اللهجات العامية أو الإقليمية وما دام الإنسان لا يفكر إلا باللغة فإن إضعاف لغة أمة هو إضعاف لفكرها .

٧ - أن تسود المجتمعات المغزوة أخلاق الأمة الغازية ، وعاداتها وتقاليدها [١] .

٨ - تصوير تراث الأمة الإسلامية بصورة التخلف وعدم قدرته على إمداد الحضارة بشىء مفيد وأنه لم يكن له الفضل على الحضارات التى جاءت بعده .

٩ - إحياء الجوانب الضعيفة فى التراث الإسلامى خاصة فيما يتعلق بالخلافات السياسية التى وقعت بين المسلمين أنفسهم والتركيز على دعوات الحركات الباطنية وإخراجها بصورة جميلة مضيئة ووصف هذه الدعوات بأنها كانت تحمل فكراً عالياً وفلسفة عميقة [٢] .

---

(١) انظر : الدكتور على عبد الحليم محمود : « الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام » ، ص٨-١٠ بتصرف .

(٢) إبراهيم النعمة : « المسلمون أمام تحديات الغزو الفكرى » ، ص ٣٠ .

١٠ - إضعاف مثل الإسلام وقيمه العليا من جانب ، وإثبات تفوق المثل الغربية وعظمتها من جانب آخر ، وإظهار أى دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر .

١١ - تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضارى بدعوى أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان ، ولم يكن العرب والمسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها .

١٢ - إضعاف روح الإخاء الإسلامى بين المسلمين فى مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التى كانت لهم قبل الإسلام . وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم [١] .

١٣ - اقتلاع العقيدة الإسلامية من قلوب المسلمين وصرفهم عن التمسك بالإسلام نظاماً وسلوكاً .

١٤ - تفريغ العقل والقلب من القيم الأساسية المستمدة من الإيمان بالله ودفع القلوب عارية أمام عاصفة هوجاء تحمل معها السموم عن طريق الصحافة والمسرح والفيلم والأزياء والملابس .

---

(١) أنور الجندى : « شبهات التغريب فى غزو الفكر الإسلامى » ، ص ١٨ .

الفصل الثانى

بدايات وبناء



المبحث الأول

الوعي بإعداد القوة

الصراع بين الأحياء من طبيعة الحياة ، وقد ثبت بالتجربة أنه أمر لا بد من وقوعه بين الناس ، مهما ارتقت أفكارهم ، أو تقدمت وتطورت معارفهم وحضارتهم ، والدليل الواضح على ذلك ، ما يقع بين الأمم من الحروب العالمية ، وهذا التسابق المحموم فى أسلحة الفتك والدمار والخراب ، رغم ما وصلوا إليه من العلم والحضارة المادية ، والتقدم [1] .

فالحرب لا يمكن أن تزول من الدنيا ، أو أن تخف حدتها ، أو تحصر ويلاتها .. ذلك أنها بكل ما فيها من مرارة وآلام ، وبكل ما تنطوى عليه من قسوة ، وبطش ، وإخلال بالأمن والسلام ، سر من أسرار الحياة ، وجوهر من جواهرها ، لأن الحياة هى الحركة ، والحركة هى التى تحول المادة وتغيرها ، بما تحدثه من احتكاك وصدام ، وصراع مستمر .

---

(١) الدكتور أحمد السايح : " أضواء على الحضارة الإسلامية " . ص ١٧٩ ، ط : دار اللواء بالرياض، ١٤٠١هـ.

إن كل ما فى الكون ، من عناصر مركبة ، أو بسيطة فى كفاح مستمر ، بين أجزائه المختلفة ، فالماء ، والهواء ، والحرارة ، وبقية العناصر ، كلها فى حرب دائمة ، ومن هذه الحرب تنشأ جميع الظواهر الطبيعية والجغرافية ، التى تؤلف مسرح الحياة .

فالرياح ، والعواصف ، والسحب ، والبروق ، والرعود والصواعق ، والسيول ، والأمطار ، والزلازل ، والبراكين ، هى مظهر هذا القتال ، فما من ذرة من ذرات الكون إلا ويجرى فيها هذا الصراع .

وحسبك أن تنظر إلى قطرة من الماء خلال المجهر ، أو قطرة من الدم لترى فيها جيوشاً جرارة ، فى كرٍ ، وفرٍ ، وإقبال ، وإدبار ، يلتهم بعضها البعض الآخر ، بعد أن يصرعه .

فإذا شئت أن ترى ذلك مبكراً بالعين المجردة ، فما عليك إلا أن تلقى بنظرة على الغابة ، حيث تغص بالحيوانات الكاسرة ، والطيور الجارحة ، التى لا تنفك فى حرب متواصلة ، ولا تفتر لحظة ، أو تهدأ ، ابتداء من الدودة الصغيرة ، إلى الفيل الضخم .. ولو نظرت إلى قاع المحيط لوجدت مثل ذلك جيوشاً لا يدركها الحصر ، تتباغى ، وتتقاتل ، وتتصارع ، حول الحياة والموت [(١)].

---

(١) الأستاذ أحمد حسين : " الحرب على هدى الكتاب والسنة " ، ص ١١ ، ط : المجلس الأعلى بالقاهرة ، ١٩٧٤م .

وما كان الإنسان ليشذ عن هذه القاعدة ، وهو أرقى صور الحياة وأكملها غير أن العقل والأديان ، قد نظمت قواه ، وحدت من غرائزه ، التى تدفعه للقتال دائماً أبداً .. لكنها لم تقض على هذه الغريزة ، وإلا لقضت على الحياة فى أساسها ، فبقيت غريزة القتال كامنة فى النفوس ، لا تلبث أن تحتدم ، متى جدت دواعيها ، وتهيأت أسبابها ، وما أكثر الأسباب والدوافع التى تقضى إلى المنافسة بين أبناء البشر (١)

والإنسان حين يفقد سلامه النفسى فى داخله ، يفقد سلامه الاجتماعى ، والعالمى فى خارجه ، ويعدم الراحة ، والهدوء ، والانضباط ، ويتلفت عن يمين وشمال فلا يرى إلا جيوش الأهواء والنزوات ، وفيالق الأثرة ، والمطامع تدق طبولها ، معلنة على قراره الذاتى ، وسلامه النفسى .. حرباً ضروساً ، لا تلبث إلا ريثما يضيق بها ميدان وجدانه ، ومجال مشاعره ، لتمد ألسنتها ، حامية الوطيس ، مشتعلة الأوار ، خارج هذا النطاق ، لتأتى على الأخضر واليابس ، من عائق الأفراد والجماعات ، والأمم ، ومقدراتها ، وممتلكاتها ، ومناطق نفوذها ، وما سطرته يراع الإنسانية من معالم الحضارة ، ومشاهد التقدم ، ووسائل المدنية ، التى ترمى إلى ترقية الحياة ، وتهذيبها .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١١ .

والويل كل الويل يوم يذر قرن الفتنة ، وتشرئب الأهواء النافرة ، والنزعات الشاردة ، والمطامع الفاغرة ، معلنة إصرارها على طمس الحق وأهله .

لهذا حرص الإسلام البالغ على أن يتصف أهل الإيمان بالقوة وعلى أن يكونوا دائماً على استعداد لمواجهة أهل الباطل مهما تكن التضحيات فى النفس والأهل والمال .

والتحفظ الوحيد الذى وضعه الإسلام على قوة المسلمين هو أن تكون قوتهم فى خدمة العدل والسلام وأن تنأى عن البغى والعدوان .

قال تعالى : ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز** ﴾[1].

ذكر القرطبى فى تفسيره : أنه لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء ، لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بنته أرباب الديانات ، من مواضع العبادات ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة .. فالجهاد أمر مقدم فى الأمم وبه صلحت الشرائع واجتمعت

---

(١) الحج : ٤٠ .

المتعبـدات" [1] حقـا إن الإسلام حين يضطر إلى القتال فإنما يمارس أشرف أنواع القتال وأنبله ، ذلكم الذى لم ولن تعرفْ الدنيا له عدلاً ولا نظيراً من قريب أو بعيد من حيث أسبابه وبواعثه وأهدافه وغاياته وملابساته وظروفه ..

إن أسباب القتال جميعاً تلتقى عند درء العدوان ورد الهجـوم واسـترداد الحق السليـب ، والكـرامة المهـيضة والأمل الشريد واقتلاع جذور الظلم وكسر حدته وانحسار موجته .. ولولا أن يغرى الله به المؤمنين لاعتلت المفاهيم ، واختلت الموازين واضطرب أمر الحياة ولخلا وجهها من الحق وجنده[2] .

وتلتقى أيضاً بواعث القتال عند درء الفتنة إذا ذر قرنها واستيقظ شرها فإن طاقات النفس محدودة وقدرتها تحت مطارق الفتن وصرف الهوان قاصرة ، يخشى حالئذ أن تلين أو تهون أو تتشتت فتعطى خصمها الدنية فى ذاتها ويقينها .. إذ التلويح والتلميح والمساومة والإلحاح والرغبة والرهبة من أخطر الأساليب التى تمس أغوار النفس فى ظروف العسف والقهر والبغى والطغيان .

---

(١) القرطبى : أحكام القرآن : ج ١٢ .

(٢) وزارة الأوقاف ، مكتبة الإمام ، ج ١٤ ، ص ١٢ ، الأوقاف ١٩٧٣ م .

فيلين عودها ويتبخر ريها وتأتى على ما فى قرارها من يابس وأخضر .. وما لم يتدارك هؤلاء تحت العذاب والفتن ومعاول الهدم فإنهم لا يلبثون إلا ريثما تضيق على أعناقهم قبضة الفتن فإذ هم ساقطون . إن القتال حينئذ حبل إنقاذ ينقذ المحطومين ويمنع المتآمرين من التوسع والمزيد ولا ملام فى هذا فمن أشعل الفتنة صلى نارها ومن سل سيف البغى صرع به .

وإن القتال في الإسلام كما يكون لأهل العدوان والاضطهاد والفتن يكون أيضاً لمن يهددون الأمن ويقلقون السلم ، ويكون لمن يدسون الدسائس ويزرعون الوقيعة ويبثون الخدع ، وينشرون الأراجيف ، وينفثون السموم ، ويرجفون لأساليب الهدم والدمار ، من المذبذبين وذوى الضمائر الفاسدة والذمم الخربة ، وأهل النكث والخيانة ومن لديهم الاستعداد إلى الانسلاخ من كل مبدأ ، والتلون بكل لون وتغيير جلودهم ، حسب الملابسات والظروف [1].

وما كانت أسباب القتال فى الإسلام راجعة يوماً (ما) إلى عدوان منه أو بغى أو تسلط أو قسر أو إكراه وما كانت أيضاً ولا باطلاً .. وإنما كانت لأمر كان معه على العكس .. فالمسلمون كانوا على مر العصور ضحايا القسر والتعذيب والطغيان

---

(١) المصدر : السابق ، ج ١٤ ، ص ١٣ بتصرف .

والقهر ، لذا لجأ المسلمون لمحاربة القوة لأنه لا تحارب القوة بالحجة ولكن بمثلها . فلا يفل الحديد إلا الحديد . فكانت حروبه جميعاً لالتقاء هجوم مبيت من قبل طغاة متجبرين لا يألون جهداً فى مباغتة الإسلام بالهجوم عليه والإيقاع به وفض الناس عنه .

إذن حتمية المواجهة تستدعى من المسلمين - أمة أو مجموعة من المجتمعات - ضرورة التهيؤ ، بالاستعداد وليس شرطاً أن ينتظر المسلمون حتى يروا أمارات السوء والشر والعدوان من عدو معروف لهم ، فيبدأون فى أخذ وسائل الدفاع .. وإنما عليهم أن يدركوا طبيعة الحياة فى هذه الزاوية الهامة التى تحكم بوجود الصراع ، تجربة وتاريخاً واقعاً بين الناس فيبذلوا قصارى جهدهم فى إعداد القوة حتى ولو لم يكن أمامهم عدو معروف ومعلوم لهم .

وإلى هذا المعنى يوجه القرآن الكريم فيقول الله تعالى :

﴿ وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾[1].

---

(١) الأنفال : ٦٠.

فالله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بالاستعداد للحرب التى لابد منها لدفع العدوان وحفظ الأنفس والحق والفضيلة .. ويكون ذلك بأمرين :

الأمر الأول :إعداد المستطاع من القوة ، ويختلف هذا باختلاف الزمان والمكان . والواجب على المسلمين فى هذا العصر صنع المدافع والطائرات والدبابات وإنشاء السفن الحربية والغواصات ونحو ذلك كما يجب عليهم تعلم الفنون والصناعات التى يتوقف عليها صنع هذه الأشياء وغيرها من قوى الحرب .

وقد استعمل الصحابه المنجنيق مع الرسول ﷺ فى غزوة "خيبر" وغيرها . روى مسلم عن عقبة بن عامر أنه سمع الرسول ﷺ وقد تلا هذه الآية يقول : [**ألا إن القوة الرمى**][1] قالها ثلاثاً . وذلك أن رمى العدو على بعد بما يقتله ، أسلم من مصاولته على القرب بسيف أو رمح أو حربة أو نحو ذلك .

وهذا يشمل السهم وقذيفة المنجنيق والطائرة والمدافع والبندقية ونحوها . فاللفظ يشملها وإن لم تكن معروفة فى عصره [2].

---

(١) آية سورة الأنفال : ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم**﴾

(٢) الدين والحياة ، نظام الحرب فى الإسلام ، ص٦ ، ط : وزارة الأوقاف .

والأمر الثانى : مرابطة الفرسان فى ثغور البلاد وحدودها .. إذ هى مداخل الأعداء ومواضع مهاجمتهم للبلاد .

والحكمة فى هذا : أن يكون للأمة الإسلامية جند دائم مستعد للدفاع عنها إذا فاجأها العدو على غرة .

﴿ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ أي أعدوا لهم المستطاع من القوة الحربية ، ومن الفرسان المرابطة ، لترهبوا أعداء الله الكافرين به ..

فالكفار إذا علموا استعداد المسلمين وتأهبهم للجهاد ، واستكمالهم لجميع الأسلحة والآلات خافوهم ، وإلى هذا يشير أبو تمام إذ يقول : وأخافكم كى تغمدوا أسيافكم إن الدم المغير يحرسه الدم وهذا الخوف يفيد المسلمون من وجوه :

١- يجعل أعدائهم لا يعينون عدواً أخر عليهم .

٢- يجعلون يؤدون الإلتزامات المطلوبة منهم .

٣- ربما حملهم ذلك على الدخول إلى الإسلام والإيمان بالله ورسوله .

والخلاصة : أن تكثير آلات الجهاد وأدواتها كما يرهب الأعداء الذين نعلم أنهم أعداء ، يرهب كذلك الأعداء الذين لا نعلم أنهم أعداء : **﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾** فالاستعداد للحرب يرهبهم جميعاً ويمنعهم من الإقدام على القتال وهذا ما يسمى فى العصر الحديث : "السلاح المسلح " [١].

---

(١) الشيخ المراغى : " تفسير القرآن الكريم " ، ص ٢٥ - ٢٦ ، ط : القاهرة .

ولعل الباحث يعرف أن إعداد القوة فى الإسلام والتى جاء الأمر بها ليس المقصود بها إعداد قوة مماثلة لقوة الأعداء.. لأن فريضة الجهاد فى الإسلام لا تنتظر حتى يتم إعداد قوة مماثلة للعدو لأن ذلك قد يطول ..

ولو انتظر المسلمون فى غزوة بدر الكبرى حتى تكافأ قوتهم وقوة عدوهم ما قامت للإسلام والمؤمنين قائمة .

إنما القلة المؤمنة بالله ، والمعتزة بعقيدتها ، اعتزازاً يفوق كل اعتبار استعدت بقدر ما استطاعت ثم خاضت المعركة فكان فيها الفرقان .

والآية الكريمة التى أمرت بإعداد القوة كلمة " ترهبون " وقد جاءت بصيغة الفعل المضارع وتشير إلىٰ الغرض من إعداد القوة وهو إلقاء الرهبة فى قلوب أعداء الله ، وأعداء المسلمين المعلومين منهم للمسلمين والمجهولين .. وكم للإسلام والمسلمين من أعداء لو يفقه المسلمون .

الآية الكريمة " وأعدوا " على اختصارها جمعت أنواعاً للجيوش التى تتلاءم مع كل عصر وزمن .

كالإعداد المادى والإدارى والفنى والمالى والتخطيط والدراسة الموضوعية لمقتضيات الأحوال .

ولقد فرض الإسلام على الأمة الإسلامية الإعداد لكل ما تشمله كلمة " إعداد " من معنى وأن تبذل الأمة أقصى الجهود الصادقة . ولم تغفل الآية الإعداد وقت السلم ووقت القتال حتى تكون الجيوش الإسلامية أشد فعالية وأكثر قدرة قتالية .

والقتال فى الإسلام مجرد من كل غاية أرضية ، ومن كل دافع شخصى . ليتمحص خالصاً لله لتحقيق كلمة الله وإقامة العدل ، ابتغاء رضوان الله [1].

قال تعالى : ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين**﴾[2].

والإسلام فى هذه الآية الكريمة يربط هذه الغاية المرجوة - دخول الجنة - بالسلوك العملى فى الحياة الدنيوية ، بحيث تصبح المقياس والميزان الذى يدل على صحة الارتباط بالدين نفسه .

قال تعالى : ﴿**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم * أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون**﴾[3].

---

(١) أحمد السايح : " أضواء على الحضارة الإسلامية " ، ص ١٢٨ ، ط : دار اللواء ، الرياض : المملكة العربية السعودية .

(٢) آل عمران : ١٤٢ .

(٣) التوبة : ١٤-١٦ .

فكلمة " بأيديكم " فى الآية تنفى تماماً معانى التواكل ، والإهمال ، والكسل ، وتؤكد خط الجهد البشرى فى المواجهة لأهل الظلم والباطل ، كما تفيد المسلمين أنه لا أمل لهم إلا فى أنفسهم . فكلمة أم حسبتم أن تتركوا " فى الآية ، فيها من الدلالة الواضحة على أنه لا يجوز أن يتصور أهل الإيمان قيام الحياة ونظامها على الخلو من معاناة الجهاد ، والصبر ، والبذل ، والتضحية . وإن أى تصور يجنح إلى تجربة الحياة من غير هذه الخصائص ، وهم باطل لابد من محاربته حتى يكون المؤمن مستعداً استعداداً واقعياً ، يتمشى مع طبيعة الحياة (١).

والله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يكون حملة الإسلام ، وحماة الدعوة الإسلامية من الجامدين الكسالى الذين ينتظرون النصر لمجرد أنهم مسلمون .

والأمة الإسلامية فى أشد الحاجة إلى استيقاظ كل الخلايا فيها ، وحشد كل القوى ، وتوفر كل استعداد ، وتجميع كل الطاقات كى يتم النمو ، ويكمل البناء ، لأن تحركات الأعداء لا تتوقف ، وتكالب الأعداء يزداد شراسة وسعاراً .. ولا جرم فإن الحق الأعزل ضائع (٢).

---

(١) وزارة الأوقاف ، نشرة رقم ٨٨ من سلسلة الدين والحياة ، ص ٨ ، ط : وزارة الأوقاف.

(٢) أحمد السايح : " أضواء على الحضارة الإسلامية ، ص ١٨٥ .

ولما كانت ظاهرة الصراع تتعلق باستمرار الحياة ذاتها ، كان للاستعداد لها ، والاعتراف بها ، المكان المقدم فى الإسلام .. ولذلك جاءت مقاييس التفاضل بين الأعمال ، لتضع الجهاد فى قلب المؤمن ونفسه ، فى المكان المتفوق على غيره من سائر الأعمال ..

قال تعالى : ﴿**لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً * درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً**﴾(١).

والحق أن الذى يستعد استعداداً صادقاً للبذل والتضحية والجهاد ، تسهل عليه سائر العبادات .. لذلك فإن المؤمن فى عملية الجهاد أو الاستعداد لها ، يتجرد من كل شىء ، لله سبحانه وتعالى ، وكأنه عقد مع الله صفقة أعطى فيها وبها لله كل شىء ، ليفوز بجنة عرضها السماوات والأرض ، قال تعالى :

﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيَقتُلون ويُقتَلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن**

---

(١) النساء : ٩٥-٩٦ .

أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**ولا تحسبن الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾[2].

وهذا يعنى أن أسلوب الجهاد ضرورة للحياة الكريمة، وأى تقصير فى التهيؤ والاستعداد له، يعرض صاحبه لنقصان فى الإيمان، وفساد فى العقيدة، فعن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: [**من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه (بالغزو) مات على شعبة من النفاق**][3].

وقد روى الطبرانى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: [**ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب**][4].

---

(١) التوبة: ١١١.

(٢) آل عمران: ١٦٩.

(٣) المنذر: " الترغيب والترهيب "، ج ٢، ص ٢٥٣، والحديث رواه مسلم وغيره.

(٤) المصدر السابق.

و **الخلاصة**: التى نفهمها من المنهاج القرآنى والنبوى ، أخذاً من الآيات والأحاديث التى جاءت فى ميدان الجهاد والقتال .. أن واجب الأمة الإسلامية أن تهيىء نفسها بصفة دائمة ومستمرة إلى ضرورة الاستعداد . . حيث أن هذا الاستعداد والإعداد جزء من العقيدة ، وركن من العبادة ، وقد ربط الله بتحقيقه سعادة المسلمين فى الدنيا ونجاحهم فى الآخرة .

***



المبحث الثانى

الوعى بضرورة الإسلام

إن الإنسان آية الله فى خلقه طبعه ربه على هذا النحو العجيب وفطره على هذه الصبغة الفذة مقترنة بعديد من الغرائز والميول ، وحينما تشده الأولى إلى إزكاء النفس واستواء الفطرة وقصد السبيل فإن الثانية تشده إلى النقيض تماماً ، وبين هذا وذاك يتطلع الإنسان ويرنو إلى ما يحفظ عليه نقاء معدنه ، وصفاء جوهره ، وزكاة نفسه ، وطهارة قلبه ، واعتدال خلقه ، وقصد سلوكه . ويجعله على طول الخط سوى المنهج قويم السبيل زكى الباعث نبيل المقصد ، متعلقاً بمعالى الأمور ، نائياً عن سفافها يتطلع إلى ذلك ويهفو إليه ، فلا يجده إلا فى رحاب الإيمان بالله وأحضان الطاعة له وظلال القرب منه .

والإنسان بفطرته لا يملك أن يستقر فى هذا الكون الهائل فلابد من رباط معين بهذا الكون ، يضمن له الاستقرار فيه ومعرفة مكانه فى هذا الكون الذى يستقر فيه [1] ، فلابد له إذن

---

(١) د . أحمد السايح : " العقيدة فى الإسلام " ، مجلة جوهر الإسلام ، العدد الثانى والثالث ، ص ١٦ من السنة الثانية ١٣٩٦هـ ، تونس .

من عقيدة تفسر له ما حوله ، وتفسر له مكانه فيما حوله ، فهى ضرورة فطرية ، شعورية ، تقوم بالتأصيل لجوهر الفطرة ، ومتابعة بعثها لضمان استمرار حركتها وعملها وانطلاقها .

ومن هنا : كانت حاجة الإنسان إلى العقيدة حاجة فطرية ، مركوزة فى فطرته ، ومغروسة فى شعوره ومخلوطة بدمه وعصبه ، ولكنه قد يضل عن إدراك هذه الحقيقة ، فيشقى ويحار ، ويفقد الاستقرار[١] .

هذه الحاجة الفطرية فى الإنسان إلى العقيدة ، هى التى يتحقق بها إدراك الإنسان لحقيقة مقامه فى هذه الحياة ورسالته وعمله ودوره [٢] .

وقد أودع الله - سبحانه وتعالى - فى الإنسان ، ما يستطيع به إدراك الحقائق الكبرى فى الوجود[٣] وندبه الله سبحانه وتعالى للقيام بمهمة التعرف على هذه الحقائق ، التى يراها الحس

---

(١) المصدر السابق .

(٢) أحمد محمد جمال الدين : فطرة وميثاق كتاب ندوة المحاضرات لموسم حج سنة ١٣٨٩هـ ، ص ٢٠٠ ، ط : العالم الإسلامى ، بمكة المكرمة .

(٣) قال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ النحل: ٧٨ .

والعقل والوجدان ، وفى الآفاق وفى النفس ، وفى كل شىء [1]، ففى الأرض آيات للمؤمنين ، وفى السماء مثلها وأعظم ، فالفطرة الإنسانية السليمة ، هى التى تتوجه إلى الكون ، بروح متفتحة تكشف ما فيه من قصد ، وتصميم وإبداع ، وتنتهى إلى إدراك مكانها من هذا الوجود وتحديد كيفية سلوكها فيه ، ومن خلال هذا التصور تتحدد علاقة الإنسان بربه عز وجل [2].

فالإنسان لا غنى له عن الدين ، لأنه يحسه فى نفسه ، شعوراً ووجداناً ويشير إلى هذا الشعور ما رواه أبو هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : [**ما من مولود إلا يولد على الفطرة**] [3].

وقول الله تعالى : ﴿**وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن**

---

(١) قال تعالى : ﴿**سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد**﴾ سورة فصلت : ٥٣ .

(٢) د . عبد الكريم عثمان : " معالم الثقافة الإسلامية " ، ص ١٦ ، ط : الثالثة ، مؤسسة دار الأنوار بالرياض ، سنة ١٣٩٤هـ .

(٣) رواه البخارى فى مواضع من صحيحه ،

هذا غافلين * أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾[1] .

ففى هذه الآية : بين الله تعالى أنه أخرج من صلب آدم وبنيه ذريتهم نسلاً بعد نسل ، على هيئة ذر ، وذلك قبل خلقهم فى الدنيا وأشهدهم على أنفسهم قائلاً لهم : ألست بربكم ، فأجابوا : " بلى شهدنا " بذلك ، فالله - سبحانه وتعالى - أشهدهم على ربوبيته ، حتى لا يقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا التوحيد غافلين ، أو غير عالمين[2] .

فالإيمان بالله فطرة فطر الناس عليها ، وإنما يضلون عنها بعض الوقت ، أو كل الوقت ثم يعودون إليها ، ولو عند فراق الحياة ، أو عند نزول الكوارث والأحداث ، فقد كان فرعون يدعى الألوهية ، ويقول لقومه : ﴿..**أنا ربكم الأعلى** ﴾[3] وسام بنى إسرائيل سوء العذاب وكفر بموسى ، وإله موسى ، ولكنه عندما أدركه الغرق قال : ﴿**آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين** ﴾[4] .

---

(١) الأعراف : ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، ج ٢ ، ص ٥٠٠ - ٥٦٠ .

(٣) النازعات : ٢٤ .

(٤) يونس : ٩٠ .

والمشركون بالله ، والكافرون به ، فى كل الأجيال ، كانوا يعبدون الأصنام ، ويستقسمون بالأزلام : فإذا مسهم الضر فى البر ، أو فى البحر ، لجأوا إلى الله يدعونه ويسألونه النجاة :

﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه﴾[1] .

ومن هنا يتبين : أنه يوجد فى طبيعة تكوين الإنسان استعداد فطرى لمعرفة الله وتوحيده ، فالاعتراف بربوبيته متأصل فى فطرة الإنسان ، وموجود فى أعماق روحه ، فقد أنشأهم الله على الاعتراف بالربوبية له وحده . " فالاعتراف بربوبية الله وحده ، فطرة فى الكيان البشرى ، فطرة أودعها الله الخالق فى هذه الكينونة ، وشهدت بها على نفسها بحكم ذاته . وحكم ما تستشعره فى أعماقها من هذه الحقيقة ، فالتوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشر ، وخالق البشر ، منذ كينونتهم الأولى" [2] .

والوجود كله عابد بطبيعته ، منصاع لوظيفته ، لا يسعه إلا أن يطيع ربه فى ولاء لا يشوبه استنكاف ، ولا يطاوله تأب ، بل إنه جميعاً من أعلاه إلى أسفله يهتف فى البداية بلغة المقهور

---

(١) يونس : ١٢ .

(٢) سيد قطب : " فى ظلال القرآن " ، ج ٣ ، ص ١٣٩١ .

أمام عظمة القاهر . وهتاف العابد تجاه قدسية المعبود بما سجله الحق فى قوله تعالى : ﴿**ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين**﴾[1] .

والإنسان وإن كان من طبعه أن ينسى أحياناً ، وأن يغفل ، وأن يجحد أحياناً ، وأن يكفر ، لأن امتزاج الروح بالجسد ، وانشغال القلب بمطالب جسده ، ومطالبه المختلفة ، التى تستلزمها حياته فى الدنيا ، وعمارة الأرض ، قد جعلت من معرفة الإنسان بربوبية الله ، واستعداده الفطرى للتوحيد ، عرضة لأن تطمره الغفلة ، ويغمره النسيان ، ويطويه اللا شعور فى أعماقه ، ويصبح الإنسان فى حاجة إلى ما يوقظ هذا الاستعداد الفطرى ، ويبعد عنه النسيان ويبعثه من أعماق اللا شعور ، فيظهر جلياً واضحاً فى الإدراك ، والشعور ، ويتم ذلك عن طريق تفاعل الإنسان مع الكون [2] وتلك فطرة فطر الله الناس عليها ، وصبغة صبغهم بها ، لا فكاك لهم منها ، ولا شذوذ لهم عنها .

---

(١) فصلت : ١١ .

(٢) د . محمد عثمان نجاتى : " القرآن وعلم النفس " ، ص ٤٧ ، بتصرف يسير ، ط : دار الشروق بالقاهرة ، سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

فعاطفة التدين ، أو الاعتقاد بدين من الأديان ، أمر غريزى ، ويشترك بين الناس عامة فى كل عصر ومكان ، فإنه لم تخل جماعة من الناس فى أى زمان ، من عقيدة دينية على نحو ما " وقد أثبت التاريخ أنه قد وجد فى الماضى السحيق جماعات إنسانية من غير فلسفات وعلوم وفنون . ولكن لم توجد جماعة إنسانية من غير دين " [1] .

إذن لابد فى حياة الناس من نظم تلم شتاتها ، وترفه حياتها ، وتضمن لها أسباب النهوض والتقدم ، ويعيش الناس فى ظل النظم على قواعد الحق والعدل ، فى أمن وسلام ، وقد كرم الله الإنسان بالعقل لكنه أودع فيه نفساً بالسوء ، وهو يعيش فى صراع بين عقله الهادى إلى الصلاح ، ونفسه الأمارة بالسوء ، فكان من تمام نعمته عليه ، أن وضع له النظم التى توصله إلى التغلب على النفس ، وسد منافذ الشيطان إليها ، فحمله أمانة التكليف ، وأخذ عليه العهد ، بأن يعبده ، ولا يشرك به شيئاً ، وأمده بهداية الرسل - عليهم الصلاة والسلام [2] .

---

(١) د . محمد يوسف موسى : " الإسلام والحياة : ، ص ٧ ، ط : مكتبة وهبة بالقاهرة ،سنة .١٣٨هـ١٩٦١م .

(٢) د . شوكت محمد عليان" الثقافة الإسلامية وتحديات العصر " ، ص ١٢٦ ، ط : دار الرشد بالرياض ،سنة : ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

إذن " لكى تتحقق الحكمة الإلهية فى خلق الإنسان ، ويتبين المصداق الحق لقوله تعالى إرشاداً للملأ الأعلى ﴿.. **قال إنى أعلم ما لا تعلمون**﴾[1] . كان لابد لقوة الخير فى الإنسان من مدد يعينها على سد منافذ الشر والطغيان [2] .

ومن هذا يتبين : أن الدين للإنسان من الشئون الضرورية التى لا حياة له إلا بها [3] والله - سبحانه وتعالى - قد خلق الناس ، ولم يتركهم وشأنهم ، بل اختار لهم نظماً وأحكاماً ، تسعدهم فى الدنيا والآخرة .

وذلك لأن الإنسان عاجز عن إدراك المغيبات ، ويتأثر تفكيره بمؤثرات من الزمان والمكان ، والمجتمع ، وهو عاجز عن حمل غيره على طاعته ، لعدم قدرته على القهر الذى يحمل الناس على كامل الطاعة .

ولهذا جعل الله - سبحانه وتعالى - فى كل أمة رسولاً منها ، وأيده بالمعجزات ، وأمده بتعاليم السماء ، لينشر الخير ، ويعالج الشر : ﴿**لئلاً يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**

---

(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) محمود شلتوت : " من توجيهات الإسلام : ، ص ١٩ ، ط : مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م .

(٣) المصدر السابق : ص ١٤ .

وكان الله **عزيزاً حكيماً﴾**[1]، وقد شرع الله - تعالى - لخلقه ما يناسب حالهم ، ويتلاءم مع ظروف حياتهم ، وقوة إدراك عقولهم ، وقوة احتمالهم[2] .

وإذا كان الدين والتدين أمراً غريزياً وفطرياً فى الإنسان ، فى كل زمان - كما عرضنا - فإن الدين الإسلامى هو : الدين الحق ، الذى رضيه الله - تعالى - للناس جميعاً . والآية الكريمة عدت الدين عند الله الإسلام : **﴿إن الدين عند الله الإسلام ..﴾**[3] تعنى : مجموعة المبادىء الإسلامية وتعاليم الإسلام .

فالإسلام مر بمرحل كثيرة عبر أنبياء الله ورسله ، إلى أن انتهى إلى المرحلة المتكاملة فى رسالة محمد ﷺ التى جاءت إلى الإنسانية كلها . إذن فرسالة الإسلام هى الإسلام الشامل للإنسانية ، فى وحدة إيمانهم بالله ، قال تعالى : **﴿.. اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ..﴾**[4] .

---

(١) النساء : ١٦٥ .

(٢) د . شوكت عليان : الثقافة الإسلامية وتحديات العصر ، ص ١٢٧ .

(٣) آل عمران : ١٩ .

(٤) المائدة : ٣ .

ولهذا كان الإسلام يشتمل على امتداد زمانى فى المعتقد الدينى يعرض لقضية البشرية من نشأتها إلى غايتها ، ويشتمل على شمول يضم الأديان كلها ، ويدعوها إلى تصحيح معتقداتها [1] .

فالديانات وإن تعددت فى الفروع والتكاليف والأعمال ، فقد اتحدت فى المصدر الذى صدرت عنه ، وهو الله - تعالى - واتحدت - أيضاً - فى الأصل الذى دعت إليه ، وهو التوحيد .

فالقدر المشترك بين الديانات جميعاً هو : تصحيح العقيدة أولاً ، ثم معالجة الأمراض الخلقية والاجتماعية الموجودة في تلك البيئات ، قال تعالى : ﴿**ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ..**﴾[2] ،وقال تعالى : ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾[3]وقال تعالى : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ..**﴾[4] .

---

(١) د . أحمد السايح : " الفضيلة والفضائل فى الإسلام " ، ص ٣٠ ، ط : مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة : ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

(٢) النحل : ٣٦ .　　(٣) الأنبياء : ٢٥ .　　(٤) الشورى : ١٣ .

ولقد جاء الإسلام فى جانبه الإيمانى ، ليؤكد هذه الأسس ، التى أكدها كل نبى ، ولكنه في الجانب الذى يستتبع الشريعة ، جانب الإلتزام والعمل ، كان الإسلام الفصل الأخير فى تكامل التشريعات .

وهذا الطابع الشمولى الملتقى فى أسس العقيدة ، والمتكامل فى التشريع ، هو الذى جعل من الإسلام الصيغة الوحيدة الباقية المستمرة أبد الدهر ، ولعل هذا هو السر الذى جعل من الإسلام كلمة تختص بالدين الذى جاء به رسول الإنسانية محمد ﷺ[1] .

وكلمة الإسلام ، وفى الإطار اللفظى تعنى : التسليم والخضوع ، وفى مفهوم الدين يراد منها : التسليم ، والخضوع لله وحده لا شريك له ، وبهذا المعنى أطلقت على كل من آمن بالله من أصحاب الأديان السماويّة الحقة ، هم مسلمون بهذا المعنى[2] .

ووحدة الإيمان حقيقة تفرضها وحدة المصدر بصورة قاطعة ، لا تقبل الجدل أو التشكيك ، ولا يغير من واقعها وجود فواصل البعد الزمنى بين الأنبياء ، الذين أرسلهم الله إلى عباده [3] .

---

(١) د . أحمد السايح : " الفضيلة والفضائل فى الإسلام " ، ص٢٨ - ٢٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٩ ، بتصرف .

(٣) المصدر السابق : ص٢٩ .

فالإيمان بالله – سبحانه وتعالى – ليس غريزة فطرية فقط ، بل هو ضرورة ، فالدين عنصر ضرورى ، والإنسانية بحاجة إليه ، للكمال النفسى ، والروحى . فالإنسان جسم وروح ، والجسم يتغذى بالطعام ، والشراب ، بينما تتغذى الروح بالإيمان والعقيدة ، وعلى ذلك فالإسلام منهج شامل لأمور الدنيا والآخرة ، محقق لمصالح الفرد والجماعة ، قوامه الشريعة والعقيدة والأخلاق ، فليس ديناً فقط ، ولكنه دين ونظام حياة ، لا تنفصل فيه العلاقة بين الله والإنسان ، عن الصلة بين الإنسان والإنسان ، وهو ينظمها جميعاً .

فالعقيدة الإسلامية ضرورة للإنسان ، وذلك لرفع مستواه والمحافظة عليه من الانحراف المادى والإلحادى .

ومن القواعد المقررة أن الإنسان مدنى بطبعه ، ومعنى ذلك أن الإنسان بفطرته ، يميل إلى التعارف ، والتعايش مع غيره ، ولذلك جعل الحق – سبحانه وتعالى – التعارف بين الناس ، من أهم أسباب خلقه لهم ، إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**﴾[1] .

هذا التعارف ليس مقصوداً لذاته ، وإنما جعل أولاً غذاء لطبيعة الإنسان ، وثانياً : وسيلة للتعارف على كل ما فيه إسعاد

---

(١) الحجرات : ١٣ .

البشرية ، وتحقيق حياة أفضل لأفرادها فى جانبها المادى والفكرى .

يبين ذلك الفكر محمد عبد الله دراز ، فيقول : " إنه لا قيام للحياة فى الجماعة ، إلا بالتعاون بين أعضائها ، وهذا التعاون إنما يتم بقانون ينظم علاقاته ، ويحدد حقوقه وواجباته ، وهذا القانون لا غنى له عن سلطان نازع ، ووازع ، يكل مهابته فى النفوس ، ويمنع انتهاك حرماته " (١).

وعلى ذلك نستطيع أن نقرر - دون ن نجانب الصواب - أنه ليس على وجه الأرض قوة تكافىء قوة التدين ، أو تدانيها فى كفالة احترام شرع الله ، وضمان تماسك المجتمع ، واستقرار نظامه ، والتئام أسباب الراحة ، والطمأنينة فيه .

والسر فى ذلك ، أن الإنسان يمتاز عن سائر الحيوانات الحية ، بأن أفعاله وأعماله الاختيارية يتولى قيادتها شىء لا يقع عليه سمعه ولا بصره ، ولا يوضع فى يده ، ولا فى عنقه ، لا يتجاوزها بينما وظيفة الدين فى الحياة ذات مجال رحب. فالإسلام بما حواه من هدايةإلهية ، وتشريعات سماوية ، يكفل للمجتمع الإنسانى ، كل عوامل السعادة ، والأمن والاستقرار ولا يكون ذلك عن تشريع وضعى ، يضعه فرد ، أو جماعة معينة ، ذلك لأن الإنسان مهما سما فكره ، ونضج عقله ، لا يمكن أن يحيط بكل ما يوفر للإنسانية أمنها واستقرارها .

---

(١) د . محمد عبد الله دراز : " الدين " ، ص٩٨ .

لقد بين الله - سبحانه وتعالى - بالدين الإسلامى ، وهو خاتم الرسالات الإلهية ، ما هو حق وخير ، فى مجتمع شئون الحياة فهو لم يترك الإنسان سدى ، بل بين له الرشد من الغى ، ووضعه على الجادة الصحيحة ، والطريق السوى ، فيما يختص بالعقيدة ، والسلوك الفردى والاجتماعى ، والعلاقات التى تربطه من الناس جميعاً .

فالدين الإسلامى فيه صلاح الناس جميعاً ، حتى الذين لم يرزقوا حظاً وافراً من التفكير العقلى السليم ، ولذلك كان الوحى الإلهى رحمة عامة لجميع الناس ، ولهذا نرى الدين ضرورة اجتماعية كما هو فطرة إنسانية (١) .

والله الذى خلق الإنسان ، وركب فيه طبائعه ونوازعه ، هو الخبير بكل أدواته ، والعليم بوسائل شفائه ، هو وحده الذى يقدر أن يضع للجماعات الإنسانية من الشرائع والنظم ، ما يحقق لها أسباب السعادة ، وجميع وسائل الأمن والاستقرار .

وذلك بالدين الذى يدعوها إليه ، فهو السلطان المهيمن على نفوس المؤمنين به ، يحملهم على الأخذ بتعاليمه ، ويدفعهم إلى القيام بما سنه لهم ، من تشريع وتنظيم ، ويدفعهم إلى التحلى بالفضائل ، ويحول بينهم ، وبين ارتكاب الرذائل ، وليس هناك

---

(١) د . محمد يوسف موسى : " الإسلام والحياة " ، ص٨

وراء الدين شيء يهيمن على النفوس ، غير نظام خالق النفوس[1] .

فالإسلام نظام رباني ، يقوم على مبادئ سياسية ، ورضيها الله لعباده دستوراً يقودهم في دنياهم إلى حياة كريمة ، ويعدهم في أخراهم لميراث جنة عرضها السماوات والأرض .

فالإسلام هو الرابطة التي جمعت البشرية على الإيمان بالله وباليوم الآخر ، ذلك أن القصد من الدين ليس إلا تزكية النفس ، وتطهير القلب ، وظهور روح الامتثال والطاعة ، واستشعار عظمة الله . وإقرار الخير والصلاح في الأرض ، على أساس قوي متين ، من ربط العبد بخالقه [2] .

فهو إذن مطلب إنساني رفيع ، يغذي جانب الروح ولا ينسى حاجة العقل وبعبارة أخرى : هو مطمح العقل ، وغاية الروح ، وبجانب ما للدين من وظائف نفسية ، تجعل منه غذاءاً ضرورياً لقوى النفس ، وعصارة مقومة لحيويتها ، توجد له وظائف اجتماعية ، لا يكون موضوعها الفرد ، وإنما يكون

---

(١) د . محمد حسين الذهبي : "الدين والتدين" ، دراسة بمجلة البحوث الإسلامية ، ج ١ ، ص ٥٤ ، الصادرة سنة : ١٣٩٥هـ ، ط : دار الإفتاء والبحوث بالرياض .

(٢) محمود شلتوت : " من توجيهات الإسلام " ، ص ١٨ .

موضوعها المجتمع ككل [1] .

وهكذا يتبين للباحثين والدارسين : أن العقيدة الإسلامية تعبر عن حاجات النفس الإنسانية ، فى مختلف ملكاتها ومظاهرها .

ومن هنا تتبع حاجة البشر إلى الدين ، من طبيعة الإنسان نفسه ، فقد خلقه الله - تعالى - ومنحه طبيعة الكائن المتكيف ، وعلى ذلك فحاجة الإنسانية إلى التدين نبتة فطرية أصلية ركبت فيه ، وفطر عليها .

ولذلك يكون الدين هو الرقيب الذاتى داخل النفس ، يدفع الإنسان إلى مراقبة الله ، الذى يعلم السر ، وما تخفى الصدور ، فيكون دافع الدين والاعتقاد شاملاً لجميع القوى المختلفة : الجسيمة ، والروحية ، والنفسية ، والخلقية والاجتماعية .

فالدين يزكى النفس ، ويطرها ، ويحول دائماً بين الإنسان ، وبين نوازع السوء والضلال فيه ، وذلك أنه يشعر دائماً بمراقبة الله له فى كل شىء ، ومن هنا تزكو نفسه بفعل الخير وعمله ، والبعد عن الشر ، وهذا مبلغ ما ينبغى أن تسعى الإنسانية إليه .

---

(١) د . محمد عبد الرحمن بيصار : : العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع " ،ص٩٢ ، ط : الرابعة ،الأنجلو المصرية بالقاهرة .

فالإسلام بحاجة إلى الدين ، لأنه جزء من فطرة الإنسان ، وطبيعته ، ولا يمكن لإنسان عاقل أن يستغنى عن جزء من فطرته وكيانه ، فهو الوسيلة الوحيدة التى نأمن مخاطرها ، ونضمن نتائجها ، لتحقيق الحياة الإنسانية .. فالدين يقيم نظاماً يدعو إلى الفضيلة واعتناقها ، كما يقيم دستوراً حكيماً يحفظ للإنسان إنسانيته ، كما يحفظ له نفسه وماله .

وكما أن الحاجة الإنسانية إلى الدين لحفظ النفس ، والمال ، والعرض ، وكذلك فإن الإنسانية في حاجة إلى الدين ، لتربية الإنسان ، والذى كرمه الله تعالى فقال : ﴿**لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم**﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿**ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً**﴾[2].

وعلى ذلك فإن احتياج الإنسان إلى العقيدة نزعة فطرية رُكبت فيه ، وفُطر عليها . ومن هذا المنطلق يصف القرآن الدين أنه الحياة ، وبأنه النور الذى يضىء للسالك الطريق ، قال تعالى: ﴿**أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون**﴾[3].

---

(١) التين : ٤ .   (٢) الإسراء : ٧٠ .

(٣) الأنعام: ١٢٢ .

فالعقيدة تقوم من المجتمع مقام الروح من الجسد ، ولسعادة المجتمع لابد من العقيدة الصحيحة ، التى تنير الطريق ، وتحدد أسلوب معاملة الفرد للجماعة والجماعة للفرد .

ولقد كان لهذه العقائد والأصول والمبادىء الإنسانية ، التى قام الإسلام عليها ، ولما قام عليه هذا الدين من المساواة والعدالة ، والإحسان ، كان لذلك أثر بالغ فى سرعة انتشاره ، وحسن تقبل الناس له فى أقطار العالم المختلفة ، كما كان ذلك من العوامل الحاسمة والأسباب القوية ، فيما أدركه الإسلام من عز ، ومجد ، وسلطان ، سعد به العالم الذى عاش تحت لوائه[1] .

فمن طبيعة المنهج الذى يرسمه هذا الدين ، ومن حاجة البشرية لهذا المنهج ، نستمد يقيننا الذى لا يتزعزع ، فى أن المستقبل لهذا الدين ، المتعطشة إليه البشرية جمعاء[2] .

فالعقيدة هى أساس قيام المجتمع ، وأساس صلاحة أو فساده ، بل هى أساس بقائه واستمراره ، فهذا الدين فى حقيقته النقية المصفاة ، له أثره المبارك فى تهذيب النفس ، وإسعاد الإنسان ، وتوجيه الحياة وجهة الحق والخير ، إن الدين ضرورة من ضرورات الإنسانية الراشدة ، لا تغنى عن فكرة عقلية ، ولا تنظيم وضعى ، قال تعالى : ﴿يا أيها الناس قد جاءكم

---

(١) د. محمد يوسف موسى " الإسلام والحياة " ، ص ١١٤ .

(٢) محمود شلتوت : " من توجيهات الإسلام " ، ص ٢٣ .

برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً * فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً﴾[1] .

لقد كان الإنسان فى الماضى يعبد ما لا ينفع ، ولا يضر ، وكان يخاف من كل شىء فجاء الدين الحق ، ودعا الناس إلى التحرير من خوف غير الله ، وما عداه من المخلوقات ، وبهذا تغيرت نظرة الإنسان إلى كل شىء .

****



المبحث الثالث

الوعى بلقاء الحضارات

الحضارة الإسلامية

إن الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه خليفة الله فى الأرض ، قال تعالى : ﴿**إنى جاعل فى الأرض خليفة**﴾(١) .

وقد فضل الله الإنسان وكرمه ، كما وضح ذلك فى قوله تعالى : ﴿**ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً**﴾(٢) .

وهذه الكرامة التى اختص الله بها الإنسان ذات أبعاد مختلفة ، فهى حماية إلهية للإنسان تنطوى على احترام حريته ، وعقله ، وفكره ، وإرادته .

وهذه الكرامة تعنى فى النهاية الحرية الحقيقية ، وهى تلك الحرية الواعية المسئولة التى تدرك أهمية تحملها أمانة التكليف والمسئولية التى أشار إليها القرآن فى قوله تعالى :

---

(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) الإسراء : ٧٠ .

﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾[1].

وإذا كان الله قد اختص الإنسان بالتكريم ، وجعله مكلفاً ومسئولاً فإنه من ناحية أخرى قدخلق الله له ذا الكون بما فيه ليمارس نشاطاته المادية والروحية على السواء .

يقول الله تعالى : **﴿وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾**[2].

والتفكير الذى تنص عليه الآية هنا أمر جوهرى لا ينبغى أن يغيب عن الأذهان [3].

فإنه إذا كان الله قد سخر للإنسان هذا الكون ، فلا يجوز له أن يقف منه موقفاً غير اللامبالاة ، بل ينبغى عليه أن يتخذ لنفسه منه موقفاً إيجابياً ، وإيجابيته تتمثل فى درسه والنظر فيه للاستفادة منه بما يعود على البشرية بالخير .

والاستفادة من كل هذه المسخرات فى هذا الكون ، لا تكون إلا بالعلم والدراسة والفهم .

---

(١) الأحزاب : ٧٢ .

(٢) الجاثية : ١٣ .

(٣) الدكتور محمود حمدى زقزوق : " دور الإسلام فى تطور الفكر الفلسفى " ص ٩ ، ط : مكتبة وهبة بالقاهرة .

والنظر فى ملكوت السماوات والأرض على هذا النحو سيؤدى إلى الرقى المادى وفى الوقت نفسه إلى الرقى الروحى[1] والحضارى .

والحضارة الإسلامية هى عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها : إنسانياً ، وخلقياً ، وعلمياً ، وأدبياً ، وفنياً ، واجتماعياً ، وفق منهج الله وشريعته .

وبناء على هذا المفهوم فإن المجتمع -وهو المجتمع الذى يطبق شريعة الله فى كل جوانب الحياة - هو وحده المجتمع المتحضر .

والمجتمع المتحضر[2] هو الذى تكون القيم الإنسانية ، والأخلاق الإنسانية التى تقوم عليها هى السائدة فيه هذه القيم هى التى تنمى خصائص لإنسانية الإنسان ، وهى تميزه عن غيره من المخلوقات [3].

وهذه القيم إنما هى قيم إنسانية ذات ميزان ثابت ، وهى مقررة في الشريعة الإسلامية منذ جاءت ، وما على الإنسان إلا أن يمضى فى بنائها وصيانتها فى كل المجتمعات التى يقيمها

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الدكتور على أحمد مدكور : " الثقافة والحضارة فى التصور الإسلامى " ، ع ٤ ، ص٥٢ ، السنة ١٤ ، السعودية ١٤٠٩هـ .

(٣) سيد قطب : " معالم فى الطريق " ، ص ١٣١ - ١٣٣ .

حضرية كانت أم بدوية ؛ صناعية كانت أم زراعية ، فالمهم فى كل الأحوال هو الارتقاء صعداً بالخصاص الإنسانية وحراستها من النكسة إلى الحيوانية التى تؤدى إلى التخلف .

إن الحضارة الإسلامية تقوم بهذه القيم ، وبهذه الأخلاق ، فى كل مكان ، وفى كل بيئة . أما أشكالها وصورها المادية ، فهى كثيرة ، ومتنوعة . لأنها فى كل بيئة تستخدم المقدرات والمعطيات الموجودة بها فعلاً ، وتنميها وفقاً لميزان الله الثابت ، وقيم الإنسان المقررة فى شريعة الله [1] .

فالإسلام حين يدخل المجتمعات البدائية ينشىء الحضارة المناسبة لهذا المجتمع وحين يدخل المجتمعات المتقدمة صناعياً أو زراعياً أو غير ذلك فإنه يستخدم كل ما لديها من معطيات ويقيم حضارة هذه المجتمعات مستفيداً مما لديها .

وإذا كان هذا هو مفهوم الحضارة الإسلامية فإن التخلف الحقيقى فى - مفهوم المجتمع الإسلامى المتحضر - هو تحويل منجزات العلم الهائلة إلى قوى باغية للتدمير والتسلط وتسخير إمكانيات العلم غير المحدود فى نشر الفوضى والعادات غير الخلقية ، ولا بد من استخدامها فى إعلاء القيم الإنسانية وفى خدمة الإنسان بغى أو ظلم أو تحكم أو إبادة .

إن مهمة العلم فى مفهوم المتحضر ليست قهر الطبيعة

---

(١) المصدر السابق، ص١٣١ .

أو الانتصار عليها بل التلطف مع الطبيعة والجد فى اكتشاف قوانين الله فيها[1].

وإذا كان هذا هو عمل الإسلام حينما ينشىء حضارة فإن هذه الحضارة التى دعا إليها الإسلام تتميز بأنها منفتحة الحدود الفكرية والنفسية والمادية والنصوص الإسلامية التى تعلن هذه الحقائق كثيرة منها :

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : [**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة**][2].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال رسول الله ﷺ: [**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**][3].

ولا يخفى : أن الباحث الذى يسبر أغوار المواريث الفكرية لهذه الأمم ويتتبع خيوط هذا التمايز الحضارى يجد أنها تضرب بجذورها فى أعماق التاريخ حيث كان البابليون والأشوريون

---

(١) الدكتور على أحمد مدكور : " الثقافة والحضارة فى التصور الإسلامى " مجلة الدارة ، عدد ٤ ، ص٩٩ ، ١٤٠ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

والفينيقيون والمصريون وغيرهم ممن أسهموا فى الفكر الإنسانى وكان لهم تمايز حضارى [1].

ولعل نظرة فاحصة إلى الأمم مثل الفرس والصين والهند واليابان ... ستفضى بالباحثين إلى الاجتماع ، على حقيقة تميز الشخصيات القومية ، والمواريث الحضارية وطريق العيش والفلسفة والحياة وفى النظرة للكون وتصوره لدى شعوب وأمم هذه الحضارة .

وكذلك الحال إذا نحن تأملنا الحضارة الغربية منذ اليونان وحتى نهضتها الحديثة والحضارة الإسلامية منذ تبلورها كثمرة لاندماج المواريث القديمة للشعوب التى دخلت الإسلام - بعد الإحياء لهذه المواريث - كثمرة لاندماج هذه المواريث فى الفكر الإسلامى الذى استصفاها وطورها وفقاً لمعاييره [2]

حيث لم يكن المسلمون مجرد نقلة . ولكن إضافاتهم للأصول التى نقلوا عنها تشهد بأنهم زادوا وابتكروا لأنهم كانوا ينظرون بعين إلى الحضارات التى أخذوا عنها وبالعين الأخرى إلى التعاليم الإسلامية [3].

---

(١) راجع الدكتور أحمد السايح : " أضواء على الحضارة الإسلامية " ص ٧٨ ، ط : دار اللواء بالرياض ١٤٠١هـ-١٩٨١ .

(٢) انظر الدكتور محمد عمارة : " الغزو الفكرى وهم أم حقيقة " ص ٩ بتصرف .

(٣) انظر الدكتور توفيق الطويل : " الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية " ص ١٥١ ، ط : مكتبة التراث الإسلامى ، مصر ١٩٩٠م .

إذن : لابد من التصور الذى يقوم على أن الفكر إذا نظرنا إليه على المستوى العلمى الإنسانى وجدنا فى هذا الفكر ما هو مشترك إنسانى عام لا يختص عنها بحضارة بذاتها وفى هذا الفكر أيضاً ما يتميز بالخصوصية والاختصاص .

والتميز فى الفكر بين ما هو مشترك إنسانى وبين ما هو خصوصية حضارية ، وإنما تحكمه وتحدده معايير موضوعية .

فكل العلوم التى تكون الطبيعة موضوعها وظواهرها المادة وخصائصها ، هى من قبيل الفكر الذى هو مشترك إنسانى عام وذلك لأن مناهجها تتميز بالحياد العلمى .

ولأن التجربة الملموسة بالحواس المادية هى السبيل لاكتشاف حقائق هذه العلوم تلك الحقائق التى هى بنت الدليل ، والتى لا تختلف باختلاف مذاهب وعقائد وأجناس وفلسفات المكتشفين .

ومن ثم فهى لا تتغاير بتغاير القوميات والحضارات بل هى واحدة على المستوى الإنسانى ، كما أن موضوعاتها المادة وظواهرها واحدة هى الأخرى لا تختلف ولا تتغاير باختلاف وتغاير الحضارات ، فعلوم مثل الرياضيات بفروعها ومثل الكيمياء والطبيعة والطب والجيولوجيا لم ولن تختلف مناهجها وحقائقها وقوانينها باختلاف الحضارات . وقد تتمايز وظائف استخدام قوانينها ونظرياتها ومكتشفاتها لكن حقائق

علومها أى : " فكرها العلمى " سيظل واحداً مهما اختلفت المذاهب والعقائد والحضارات (١).

ويلحق بهذه المنظومة من حقائق العلوم الطبيعية الخاصة بدراسة المادة وظواهرها وأسرارها على نحو ما ، وإلى حد كبير .. العديد من ثمرات التجارب الإنسانية فى الوسائل والنظم والمؤسسات والخبرات التى ترشد أداء الإنسان وهو يسعى إلى تحقيق المقاصد والغايات .

فعلى الرغم من تمايز المقاصد والغايات والمثل فإن تجارب الإنسانية فى الوسائل والنظم والمؤسسات قد تكون صالحة فى أحيان كثيرة للاقتباس - مع التطويع - والتمثل والاستلهام .

إن العناصر الخارجية ضرورة حتمية لا تستغنى عنها حضارة مهما سمت وارتفعت إنها تمتزج وإياها صيغة جوهرية تختلف من تراث إلى آخر وهذه العناصر الخارجية تأتى بطريق الاقتباس الإدارى المباشر المقصود .

والاقتباس والنقل عملة متداولة بين الشعوب قاطبة فكل حضارة أبدعت ونقلت وأخذت وأعطت ولم توجد قط حضارة أبدعت ولم تنقل ، فالنقل ليس وباء وإنما هو غذاء والاستعارة ليست عاراً وإنما هى فخار .

فالتأثيرات الحضارية والاستعارات الثقافية والأفكار والآراء والنظريات المتبادلة بين الأمم والشعوب إنما هى

---

(١) انظر الدكتور محمد عمارة : " الغزو الفكرى وهم أم حقيقة " ص١٦ .

ظاهرة صحية طبيعية سليمة ، لا خطر فيها ولا خوف منها[1] .

والعرب هم وارثو الحضارات القديمة إذ لم يكونوا قبل الإسلام معزولين عن جيرانهم أصحاب الثقافات العريقة عزلة كاملة فقد انفردت الصحراء العربية بين صحارى العالم أجمع بأنها أحيطت منذ القدم بأرقى حضارات العالم .

ففى الشمال ازدهرت حضارة ما بين النهرين وحضارات الإغريق والكنعانيين والآراميين وجزر بحر إيجه .

وفى الغرب ازدهرت حضارة المصريين القدماء ، وفى الشرق كانت الحضارة الفارسية ومن ورائها الحضارات الآسيوية الأخرى ، وفى الجنوب كانت حضارة اليمن .

وكانت القوافل العربية دائبة الحركة بين مراكز هذه الحضارات عند أطراف الصحراء تنقل البضائع والسلع ، وكان لابد أن تتحرك المعارف والثقافات مع السلع والبضائع وأن تختلط هذه الثقافات وتتزاوج فى حركة بطيئة ، ولكنها ثابتة مستمرة ، وأن يؤدى كل ذلك إلى تصفية الأفكار والمعارف وتقدمها تبعاً لهذا الاختلاط والتزاوج [2] .

فى هذا الجو جاء الإسلام . إنه لم ينتشر فى فراغ ، فالأمم التى صادفها أو اتصل بها فى حركة المد الكبيرة أو تلك التى

---

(١) انظر الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا : " أصالة الفكر العربى" ص ١٥٢ ، ط : عويرات ١٩٨٢ بيروت ، فرنسا .

(٢) المصدر السابق ، ١٦٤ .

اعتنقته ودانت به أمم عرفت حضارات شتى وثقافات متنوعة ومرت بتجارب روحية وخبرات مادية متعددة .

وكان اختلاط العرب بهذه الأمم اختلاط قتال وحروب ومعارك أولاً ثم اختلاط حضارة وثقافة وأفكار بعد ذلك ومن هنا كان التأثير . ومن هنا كان التفاعل والإخصاب وكان الأخذ والعطاء وتبادل الأفكار والآراء .

وبذلك فقد عرب العرب حضارة الهند وحكمة فارس وفلسفة اليونان ، واختلط المسلمون بأقوام تنوعت عقائدهم وتشعبت آراءهم وصادفوا مئات المفكرين والباحثين والمثقفين ، واتصلوا بأصناف من الأفراد والجماعات لا تدخل تحت حصر ، وشاع التزاوج والإصهار وتفاعلت العادات والتقاليد والآراء والأفكار والمذاهب والواقف والعلاقات ، وجاءت وحدة الدين لتعطى هذا التفاعل صيغة فريدة . وتنتج عن ذلك كله مزاج فكرى واجتماعى وروحى أعطى الحضارة الإسلامية معناها ومبناها [1] .

وكلما ذهبنا نبحث فى حضارات الأمم وجدنا أن اللقاء والتفاعل الحضارى الذى عرفه التاريخ بين الحضارات العريقة المالكة لما هو : " مشترك ولما هو خاص قدتم وفق أن هناك ما هو مشترك إنسانى عام " وهناك ما هو خاص .

فالتقاء الحضارات - وهو معلم التاريخ الحضارى للإنسانية

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

وتفاعل هذه الحضارات عندما تلتقى - هو قدر لا سبيل إلى مغالبته أو تجنبه . لكنه دائماً وأبداً وفق هذا القانون الحاكم التمييز بين ما هو مشترك إنسانى عام تفتح له الأبواب والنوافذ بل ويطلبه العقلاء ويجدون السعى فى تحصيله وبين ما هو خصوصية حضارية يدققون فى حذر - قبل استلهامه وتمثله ، ويعرضونه على معايير مع هويتهم الحضارية وقيمهم الاعتقادية [1] .

ومما لا يحتاج إلى بيان أنه كلما أستلهمت الحضارات ما هو مشترك إنسانى عام " تقدمت الحضارات واستفادت وازدهرت ، وانتشر الأمن .

والتفاعل الحضارى ضرورة إنسانية ، لابد منها لقيام الحضارات ، وتقدم الإنسان فى كل ما من شأنه أن يأخذ بيد الإنسان ، ويشيع فى المجتمعات الإنسانية السلام والأمن .

وإذا تأملنا فى حال الأمة الإسلامية وجدنا أنها - من وجهة نظرنا - محاصرة بين غربتين : غربة زمان ، وغربة مكان .

أما غربة الزمان ، فهى بعد الأمة عن ماضٍ حضارى مشرق ، لم تعد تربطها به عوامل الثقافة الفاعلة أو البانية .

وأما غربة المكان ، فهى : بعد الأمة عن واقع حضارى معاصر ، تجهل عنه كل شىء مما مثل فجوات حضارية كبرى ليس من السهل على الأمة الإسلامية تجاوزها أو تجاهلها .

---

(١) الدكتور محمد عمارة : " الغزو الفكرى ، وهم أم حقيقة " ص ٢٠٥ بتصرف ، ط : الأزهر ١٩٨٨ .

ولذلك إذا كان لابد لهذه الأمة ، أن تعود إلى التفاعل الحضارى ، وتستفيد من حضارات الإنسانية ، كان لابد من خروج الأمة الإسلامية من الاغتراب الزمانى والاغتراب المكانى ، وذلك بالربط بين الواقع والثوابت الحضارية الإسلامية ، وبين مصادر وعوامل التقدم المعاصر .

وليس هناك من وسيلة للربط غير الدين ، والعلم ، والحياة ، فى إطار من حرية الفكر وسياسة عقلانية للتقدم ، وتسامح مستنير [1] . فإن فعلت الأمة ذلك كان ذلك بداية فى طريق حضارى .

وإن التقدم البشرى فى مختلف المراحل والمجالات ليس إلا حصيلةالإبداع الفكرى والتعاون ، والاحتكاك بين المجتمعات .

ولا عيب أن نأخذ من حضارات الأمم ما يفيدنا ، ولكن العيب أن نظل عالة على أمم الأرض نأخذ منها ولا نعطى .

ويجدر بنا أن ندرك أن الانغلاق ليس بالموقف اللائق بالعقلاء ، ولا التبعية الحضارية بمفيدة . أو ملائمة لمن يمتلكون خصوصية حضارية إسلامية .

والعزلة الحضارية والجهل صنوان ، كلاهما تخلف ، وكلاهما حجاب يمنع وصول الضوء ، وكلاهما عقبة كأداء فى طريق التطور والتقدم .

---

(١) الدكتور محمود قمبر : : هدفية العلم فى الإسلام " ، مجلة حولية كلية التربية ، عدد رقم٨ ، ص٦٣ سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١ ، كلية التربية ، جامعة قطر .

ويكاد يكون مؤكداً أنه لا توجد حضارة قامت ذاتها ، واكتفت بذاتها مستغنية عن غيرها ، وإنما هى نتيجة تطور حضارى دائم وتفاعل بين حضارات أخرى تفاعلت هى بدورها وغيرها من الحضارات فى الزمان والمكان .

والنمو الحضارى إنما يعتمد على التجارب الحضارية الأخرى . وكلما ازدادت فرص الالتقاء والتفاعل بين الحضارات ازدادت فرص الحياة والنمو والاكتساب والتعلم .

والأمة الإسلامية وهى تتطلع إلى مستقبل مشرق ، لابد وأن تخوض معركة بناء الذات وتجديدها مسوقة بقيم ومواريث لها فى وعيها فاعليتها القوية .

ولا يخفى أن الأمة الإسلامية تملك رصيداً ضخما من القيم الهادفة وتوجيهات الإسلام ، وهذه القيم كفيلة عند استثمارها بأن تجعل الأمة الإسلامية فى وضع يسمح لها بأن تنمى فلسفتها الحضارية الإنسانية ، وتتسابق مع أمم الأرض فى بناء حضارة إنسانية ، ومما هو معروف أنه ليس كل عمل يصدر من الإنسان يسهم فى الحضارة الإنسانية ، وإنما ذلك العمل الذى ينمى الحضارة وينطلق من الإنسان للإنسان .

***



المبحث الرابع

مواجهة الفكر الاستشراقى

لا شك أن الاستشراق كان ولا يزال يشكل الجذور الحقيقية ، التى تقدم المدد للتنصير والاستعمار ، والعمالة الثقافية ، ويغذى عملية الصراع الفكرى ، ويشكل المناخ الملائم لفرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامى ، وإخضاع شعوبه .

فالاستشراق هو المنجم ، والمصنع الفكرى ، الذى يمد المنصرين والمستعمرين وأدوات الغزو الفكرى ، بالمواد التى يسوقونها فى العالم الإسلامى ، لتحطيم عقيدته وتخريب عالم أفكاره ، والقضاء على شخصيته الحضارية التاريخية [1] .

لقد تطورت الوسائل ، وتعددت طرق المواجهة الثقافية الحديثة ويكفى أن نشير إلى مراكزالبحوث والدراسات سواء أكانت مستقلة أم أقساماً للدراساتِ المشرقية فى الجامعات العلمية وما يوضع تحت تصرفها من الإمكانات المادية أو المبتكرات العلمية أو الاختصاصات الدراسية تمثل الصور الأحدث فيتطور الاستشراق حيث تمكن أصحاب القرار من الاطلاع والرصد لما يجرى فى العالم يومياً [2] .

---

(١) انظر الأستاذ عمر عبيد حسنة ، مقدمة كتاب الأمة رقم ٢٧ ص ٢٢ قطر .

(٢) المصدر السابق ، عدد رقم ٢٧ ، ص ٩ ،

ففى القارة الأمريكية وحدها حوالى عشرة آلاف مركز للبحوث والدراسات ، القسم الكبير منها متخصص بشئون العالم الإسلامى ووظيفة هذه المراكز تتبع ورصد كل ما يجرى فى العالم ومن ثم دراسته وتحليله مقارناً مع أصوله التراثية التاريخية ومنابعه العقدية ثم مناقشة ذلك مع صانعى القرار لتبنى على أساسه الخطط وتوضع الاستراتيجيات الثقافية والسياسية وتحدد وسائل التنفيذ [١] .

وإن الباحث فى مؤسسات الاستشراق ووسائلها المختلفة يجد أنها استطاعت أن تؤثر فى العقلية الإسلامية فهذه دائرة المعارف الإسلامية تعد أكبر مصدر للمعلومات والحقائق الإسلامية وأثمن ذخيرة لها وتعتبرها بعض البلاد الإسلامية اليوم أساساً للمعلومات الإسلامية وتقوم بترجمتها إلى لغاتها بنصها وروحها [٢] .

ولقد نجحت العقلية الأوروبية الاستشراقية فى فرض شكليتها على التحقيق والتقويم والنقد والسيطرة على مصادر التراث العربى الإسلامى ويمكن القول بأن معظم الكتابات العربية المعالجة للتراث قد سارت على هذا النهج فى التاريخ والأدب وغيره .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الشيخ أبو الحسن الندوى: "الإسلام والمستشرقون" مجلة المنهل عدد رقم ٤٧١ ، ص ٢٦ جدة .

ولم تتجاوز إلا فى القليل وأنهت إلى إيجاد ركائز عربية معبرة عنها ومتبنية لوجهة نظرها ومدافعة عن المواقع الثقافية التى احتلتها حتى فى الجامعة والمؤسسات العلمية لا يزال الخضوع والاحتكام للقوالب الفكرية التى اكتسبها بعض المثقفين العرب من الجامعات الأوروبية [١] .

وبجانب كل هذا فإن الاستشراق يذهب إلى محاولة ألغاء النسق الإسلامى ومحاولة تشكيل العقل المسلم وفق النسق الغربى الأوروبى وإنجاب تلامذة من أبناء العالم الإسلامى لممارسة هذا الدور والتقدم باتجاه الجامعات والمعاهد ومراكز الدراسات والإعلام والتربية فى العالم الإسلامى لجعل الفكر الغربى والنسق الغربى هو المنهج والمرجع والمصدر والكتاب[٢].

ومما يلاحظه الباحث بوضوح : أن عمليات الاستشراق والتغريب لم تستسلم ولم تلق السلاح لكن لما أعياها السعى فبدل أن تقر بفساد نظرياتها وعدم إمكانية القبول لها فى العالم الإسلامى . تحاول اليوم أن تعتبر أن المشكلة والعلة فى بنية العقل المسلم أصلاً ، لتأتى على البنيان الإسلامى من القواعد ، وترسب فى النفوس أن السبب فى التخلف ، والعجز ، والتخاذل الثقافى ، وعدم القدرة على الإبداع وقبول الفكر الغربى هو فى بنية هذا العقل وتكوينه وميراثه الثقافى.

---

(١) عمر عبيد حسنة : "كتاب الأمة" : رقم ٢٧ ، ص ١٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦ .

فهو عقل مولع بالجزئية وعاجز عن النظرة الكلية للأشياء ، وهو عاطفى يحب الإثارة والانفعال ويعجز عن الفعل ، وهو محكوم أيضاً بموروث ثقافى لا يستطيع الفكاك منه فهو لا يفكر بطلاقة وحرية لأنه محكوم بوحى مسبق وهو يقوم على منهج التفكير الاستنتاجى ، ويعجز عن التفكير الاستقرائى وهو معجب بالمنهج البيانى ، وعاجز عن المنهج البرهانى ، وهو يخلط بين الواقع المعاش ، والمثال الخيالى وصاحبه يحب الثأر ويغرق فى الملذات وأن الإسلام الذى يكون هذا العقل هو دين أمر ونهى ، وزجر وكبت للحرية ، وإلغاء للاجتهاد ، الأمر الذى أدى إلى التقليد وفقدان الشخصية والقدرة على الإبدع[1] .

ولابد أن نعترف بأن الاستشراق يستمد قوته من ضعف المسلمين ووجوده نفسه مشروط بعجز العالم الإسلامى عن معرفة ذاته ، فالاستشراق فى حد ذاته كان دليل وصاية فكرية . ويوم أن يعى العالم الإسلامى ذاته وينهض من عجزه ويلقى على اهله أثقال التخلف الفكرى والحضارى ، يومها سيجد الاستشراق نفسه فى أزمة وخاصة الاستشراق المشتغل بالإسلام ولا يجوز لنا أن ننتظر من غيرنا أياً كان هذا أن يساعدنا على النهوض من كبوتنا [2] .

---

(١) المصدر السابق ،ص٢٧ -٢٨ .

(٢) الدكتور محمود حمدى زقزوق " الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع " ص ١٢٧-١٢٨قطر.

وإذا كان علينا أن نضع عن أنفسنا أغلال الوصايا الفكرية فإن علينا من ناحية أخرى أن نتحرر من عقدة التخلف التى تسيطر علينا فى جميع مناحى حياتنا والتى تسدّ علينا منافذ الأمل فى الخروج من أزمتنا ، فقد تحررنا من الاستعمار العسكرى ولكننا لم نتحرر من القابلية للاستعمار ، ولهذا فإن نظرتنا لكل ما يأتى من الغرب هو نظرة التقدير والإكبار ، حتى وإن كان هذا الذى يرد إلينا متمثلاً فى أزياء غريبة عن أذواقنا وتقاليدنا [1].

وحتى نكون فى مستوى الحوار الفكرى والتبادل المعرفى ونوقف فعلاً الغزو الفكرى والاختراق الاستشراقى لابد أن نكون قادرين على امتلاك الشوكة الفعلية .. أن نكون قادرين على الإنتاج الفعلى لمواد ثقافية تمثل ثقافتنا وتأتى استجابة لها وتغرى الناس بها وبذلك وحده نكون فى مستوى الحوار والتبادل المعرفى ، فالمواجَهة لا تكون بإدانة الآخرين والنظر إلى الخارج دائماً وإنما تبدأ حقيقة من النظر إلى الداخل أولاً لملء الفراغ بعمل بنائى - مستمر - وتحصين الذات [2].

وقد لا يكون المرء مجانباً للصواب ، إذا قال : إننا لم نتصد للتيار الاستشراقى بكل قوة ، فسوف نتعرض للانسلاخ والذوبان لا محالة ، والمعركة بين الاستشراق والإسلام معركة

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

(٢) عمر عبيد حسنة : " كتاب الأمة " رقم ٢٧ ، ص ٢٩ .

هائلة ، جند لها المستشرقون كل المعاول التى تحاول أن تهزم المسلمين وتبعدهم عن إسلامهم .

وإن الإنسان الذى يتابع النشاط الاستشراق ، قد يلحظ أن هذا النشاط يمثل قمة التحدى للفكر الإسلامى ، وقد يكون معروفاً لدى الباحثين : " أن التيارات الفكرية الأجنبية القديمة - التى كانت تمثل تحدياً للإسلام ، والفكر الإسلامى الأصيل ، فى عصور الإسلام الزاهرة - كانت حافزاً للمسلمين ، فى تلك الأيام الخوالى للوقوف أمامها بقوة وصلابة (1) .

وقد رأى الإمام الغزلى ، فى عصره أن التيارات الفلسفية يتردد صداها فى الأرجاء وأنها تصول وتجول ، فى تحد سافر ، للفكر الإسلامى والمسلمين ، فلم يقف الغزالى موقف المتفرج ، ولم يسب ، ويشتم ، ويصرخ ، ويولول ، ولم يرغب أن يترك الأمر ويقول لا شأن لى به ولكنه عزم على خوض المعركة ، فأعد العدة واتخذ لها الأدوات من العلم والمعرفة بما عند هؤلاء .

وقد رأى أن يتقن الفلسفة ، ويتفرغ لقضاياها ، ويتعرف على مقاصد الفلاسفة ، واستطاع فى دقة وإتقان أن يخرج كتابه : " مقاصد الفلاسفة " وكان ما قام به هو الخطوة الأولى فى منهج المواجهة للفكر الفلسفى ، ثم جاءت الخطوة الثانية بعد ذلك بالكشف عما فى " مقاصد الفلسفة : من تناقض الفكر ومخالفة

---

(1) الدكتور محمود حمدى زقزوق : " الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى " ص ١٢٤.

للمنطق والعقل ، وتعثر فى المقاصد ، فكان كتاب : " تهافت التهافت " قمة المواجهة .

واستطاع بهذا المنهج النقدى أن يواجه المعركة ويخوض غمارها فى قوة ، ودقة ويقول الغزالى معبراً عن ذلك المنهج : ؛ ثم إنى ابتدأت - بعد الفراغ من علم الكلام - بعلم الفلاسفة ، وعلمت يقيناً : أنه لايقف على فساد نوع من العلوم ، من لا يقف على منتهى ذلك العلم ، حتى يساوى أعلمهم فى أهل ذلك العلم ، ثم يزيد عليه ، ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم ، من غوره وغائله ، وإذ ذلك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقاً ، ولم أر أحداً من علماء الإسلام ، صرف عنايته وهمته إلى ذلك " [1] .

وإذا كان الغزال ، قد استطاع أن يواجه الفكر الفلسفى ، فى عصره فإن الأمر بالنسبة للاستشراق يحتاج إلى جهود أفراد ومؤسسات . فمكتبات العالم مليئة بإنتاج المستشرقين ، وبشتى اللغات الإنسانية ، وهناك عشرات المجلات ، ومئات المؤسسات التى ترعى الاستشراق ، وتعمل لخدمة المستشرقين وهناك أيضاً آلاف العلماء والباحثين من المستشرقين يتفرغون لبحوثهم ودراساتها وهناك المؤتمرات الاستشراقية العالمية التى تعقد حسب الحاجة فى العواصم العالمية .

ولقد كان لحركات الفكر الاستشراقى منذ القرن الثامن عشر ، قوة دفع ورواج واستقطاب ، وأثارت اهتمام الفكر

---

(١) الإمام الغزالى : " المنقذ من الضلال " ص ٩٢ .

الإسلامى ، بما كتبه المستشرقون عن الإسلام ، فى الكتب والمجلات والموضوعات ، وعن مصدريه الأساسيين : القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وعن النبى الذى بعثه الله بهذا الدين الحنيف [1] ، ومواجهة التحديات الاستشراقية ضرورة لابد منها وإن كنا نريد الحفاظ على عقائدنا التى جاء بها الإسلام ، وكنا نريد الحفاظ على ذاتيتنا وشخصيتنا ، ومواجهة الاستشراق فى مجال العقيدة الإسلامية وغيرها يحتاج - كغيره - إلى بذل جهود صادقة ، ومخلصة لرد هذه الطعون المفتراة ، حتى لا يأتى زمن نجد أنفسنا فيه ، بألسنة غير ألسنتنا نردد ما يقوله المستشرقون دون وعى أو دون أن نحس أننا مسلمون لنا عقائدنا وشخصيتنا .

ومنهج نقد الاستشراق فى مجال العقيدة الإسلامية وغيرها مما تناوله الاستشراق لابد وأن يقوم من وجهة نظرنا على الأصول الأساسية التالية .

أولاً :استيعاب شامل للإنتاج الاستشراقى ، فى مختلف المجالات الإسلامية ، وهذا الاستيعاب لابد منه ، ومن حق الأمة الإسلامية أن يعرف أبناؤها ما يقوله الآخرون عنها ، فى عقائدها ، ليكون أبناء الأمة على بينة مما يقوله أو يتقوله هؤلاء المستشرقين .. ويلزم هذا الاستيعاب الشامل تحقيق الأمور التالية :

---

(١) الدكتور التهامى النقرة: "القرآن والمستشرقون" ص ٢١ .

١- القيام بحصر شامل لكتابات المستشرقين فى المجالات المختلفة فى القرنين التاسع عشر ، والعشرين ، بصفة أساسية باللغات الإنجليزية ، والفرنسية والألمانية ، والأسبانية ، والإيطالية ، والروسية ، ويشمل هذا الحصر : الكتب ، والمجالات والدوريات .

والقيام بعملية حصر هذه الأعمال الاستشراقية يحتاج إلى خبراء وعلماء مسلمين متخصصين ، ويحتاج إلى عدد من المساعدين فى مجال كل لغة نأخذ منها .

٢- لابد من توفير كل الأعمال الاستشراقية المشار إليها ، عن طريق الشراء إذا كانت متوفرة ، أو عن طريق التصوير إذا لم يمكن شراؤها وتشكل هذه الأعمال مكتبة استشراقية تكون تحت أيدى الخبراء والعلماء .

٣- يقوم جهاز متعاون من الخبراء فى اللغات المختلفة ، يتحضير المادة وتصنيف الموضوعات وضم المادة التى يتكرر الحديث عنها فى لغات مختلفة تحت موضوع واحد .

٤- تقدم المادة للعلماء الذين سيقومون بإعداد النقود العلمية ، ويراعى عند تقديم المادة للعلماء ، أن تترجم لهم الأفكار الأساسية للقضايا المعروضة ، ليكون عند العلماء تصور شامل لكل ما قيل حول القضية المطروحة ، وحتى يغطى التناول للموضوع ، وجهات النظر التى قيلت فيه [1] .

---

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق : " الاستشراق والخلفية للصراع الحضارى " ص ١٣٢

٥- تذكر مع المادة التى تقدم للعلماء أسماء المستشرقين الذين تناولوها وأزمنتهم وبيئاتهم والدوافع وراء مقولاتهم .

٦- العمل على بيان المصادر التى اعتمد عليها المستشرقين ، فى كتاباتهم عن قضايا المسلمين وهل هى مصادر إسلامية أصيلة فى الموضوع أم مصادر غير إسلامية ، لأن بعض المستشرقين يعتمد على ما ذكره المستشرقون السابقون كمصدر أساسى دون الرجوع إلى كتب المسلمين .

٧- بيان المنهج الذى التزم هؤلاء الكاتبون فى العقائد والشرائع ، والتاريخ والحضارة ، والسيرة لأن بيان مناهج المستشرقين سوف يكشف لنا عن أخطاء جسيمة فى المنهج والنتائج والدارس لمقولات المستشرقين فى العقائد الإسلامية وغيرها ، يجد فى هذه الكتابة تغرباً عن المسلمات ، وخروجاً صريحاً على البداهات ، ومايمكن اعتباره محاولات متعمدة لإصابة هذه المسلمات والبداهات بالجروح والكسور ، وهى لن تفعل فعلها فى يقين المسلم ، إلا فى حالات معينة ، بينما نجدها تدفعه فى أغلب الحالات وأعمها إلى الاشمئزاز والنفور .

هذا مع أن معالجة واقعة تمتد جذورها إلى عالم الغيب ، وتربط أسبابها بالسماء ، ويكون فيها الوحى همزة وصل مباشرة بين الله سبحانه ورسوله الكريم ، ويتربى فى ظلالها المنتمون على عين الله ورسوله ليكون تعبيراً حياً عن إيمانهم ، وقدوة حسنة للقادمين من بعده . مواقع كهذه لا يمكن بحال

أن تعامل الجزئيات والذرات والعناصر فى مختبر للكيمياء ، أو تعامل الخطوط والزوايا والمساحات على تصاميم المهندسين ، بل ولا كما تعمل الوقائع التاريخية التى لا ترتبط بأى بعد دينى أصيل [١] .

إننا هنا بمواجهة تجربة من نوع خاص ، وشبكة من العوامل والمؤثرات تند عن حدود مملكة العقل ، وتستعصى على التحليل المنطقى الاعتيادى المألوف ، ومن ثم فإن محاولة قسرها على الخضوع لمقولات العقل الصرف ، ومعطيات المنطق المتوارثة ، لا تقود إلى نتائج خاطئة حيناً ولا تستعصى عليه بعض الظواهر حيناً فحسب بل أنه يقوم بما يمكن اعتباره قتل بشكل من أشكال أو محاولة لتفحص الجسد البشرى كما لو كان فى حالة سكون مطلق بعيداً عن تأثيرات الروح وتعقيدات الحياة [٢] .

وإن الدين والغيب ، والروح ، والوحى ، والقضاء ، والقدر وما اتصل بهذا من أمور العقائد ، ليس بمقدور الحس أو العقل أن يدلى بكلمته فيها إلا بمقدار وتبقى المساحات الأكثر عمقاً وامتداداً بعيداً عن حدود عمل الحواس وتحليلات العقل والمنطق .

---

(١) الدكتور عماد الدين خليل : " المستشرقون والسيرة النبوية " ص٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص٦ .

ثانياً : نقد المنهج الذى التزم به المستشرقون فى معالجة قضايا الدين الإسلامى ونقد المنهج هو خطوة حاسمة وضرورية قبل البدء فى نقد ما جاء من أخطاء وافتراءات لأن : " مناقشة أى من المستشرقين على مستوى التفاصيل والجزئيات ، لا يغنى شيئاً لأنها ستكون بمثابة نقد مؤقت يتحرك على السطح ، ويستهلك نفسه فى الجزئيات ، دون أن يبحث عن الجذور العميقة التى تظل تنبت الشوك والحسك .

والجذور العميقة هى المنهج الخاطىء الذى تقوم عليه أبحاث هؤلاء المستشرقين فإذا استطعنا أن نضع أيدينا على عيوب المنهج وشروخه استطعنا معرفة المنبع يتمخض عنه تيار الأخطاء الموضوعية ، وخلخلة الأسس التى جاءت بهذه الثمار المرة واقتلاعها [١] .

ثالثاً : نقد الأخطاء التى وقع فيها المستشرقون فى مجالات الإسلاميات وعملية نقد هذه الأخطاء والمزاعم تقتضى منا عرض الشبهات والمقولات ونقدها نقداً علمياً بعيداً عن النزعات الهجومية ، حتى يكون لهذا العمل العلمى أثره الإيجابى لدى المثقفين من المسلمين وغير المسلمين .. وحتى يكون كذلك دافعاً للمستشرقين إلى إعادة النظر فى أقوالهم وعوناً لهم على

---

(١) المصدر السابق ، ص٨ .

تصحيح اتجاهاتهم ، وفى النهاية يكون هذا العمل بمثابة تعريف بالإسلام ، لكل راغب فى التعرف عليه [1].

ولا يخفى أن العمل العلمى القائم على النقد السليم ، يحمل العمل البنائى ، الذى يأخذ بالناس جميعاً إلى العلم ، والمعرفة . والعملية النقدية الهادفة جديرة بالممارسة والمتابعة لإثراء الفكر الإنسانى بكل حق ، وبكل مفيد .

والنقد المطلوب لشبهات وأخطاء المستشرقين لابد وأن يتجاوز الدفاع المتشنج إزاء كل ما طرحه أولئك الذين تخصصوا فى الاستشراق .

رابعاً: إبراز ما ردده بعض المستشرقين فى نقدهم لمستشرقين آخرين فإن هذه النقود العلمية التى ذكرها المستشرقون لها دلائلها ، وقد تكون أبلغ فى باب النقد والتصدى والمواجهة ، وما أكثر ما جاء عن المستشرقين فى باب النقد إن ما ذكره بعض المستشرقين فى هذا الباب يشكل ثروة مفيدة وليس من الكياسة أن نبتعد عن المنصفين .

خامساً : إثبات أن المصادر التى اعتمد عليها رجال الاستشراق غير أصلية فى الموضوع ، وقد رأى الباحثون أن المستشرقين قد يرجعون إلى آراء مستشرقين

---

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق : " الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى " : ص١٣٢ .

سابقين قد أعماهم التعصب فنفثوا سمومهم فيما كتبوه وبعضهم يرجع إلى مصادر لا تتصل بالعقيدة الإسلامية من قريب أو بعيد وبعضهم على كتاب ألف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة ، وغيرهما من الكتب التى تجرى مجراهما .

سادساً : يحسن أن تحاط النقود ببيان ما وقع فيه بعض المستشرقين من أخطاء علمية لغوية أو تاريخية، عن جهل ، أو عن سوء فهم ، وضيق نظر ، أو عن شطط فى الافتراضات [1] .

سابعاً : أن تقوم النقود التى توجه إلى الاستشراق على منهج يضم الأدلة العقلية ، والأدلة النقلية ، لأن نقد الاستشراق هو بالدرجة الأولى للمسلمين حتى لا يخدعون بهذه البحوث والدراسات التى تصل عن طريق الاستشراق وحتى لا ينبهرون بهذا التيار .

كما أن نقد الاستشراق هو للمستشرقين ، وقد لا يعترفون بالدليل النقلى ، فكان لابد من الدليل العقلى المقنع الذى يجعلهم يفكرون كثيراً قبل أن يقدموا على تناول ما للمسلمين بغير المراد .

ثامناً : أن تكون النقود التى توجه إلى الاستشراق شاملة لآراء السلف والخلف، فى مسائل العقيدة من الأسماء والصفات ،

---

(١) الدكتور التهامى النقرة : " القرآن والمستشرقون " ص ٢٢ .

والتشبيه ، والتأويل ، والقضاء والقدر ، والحرية ، والجبرية ، وقضية الألوهية ، والإسلام ، والإيمان ، والنبوة ، والرسالة ، والوحى ، والمعجزة ، والبعث وما جرى مجرى هذا من مسائل العقيدة .

ومواجهة الفكر الاستشراقى بما ذكره السلف والخلف فيه تضييق وحصار لآراء المستشرقين .

تاسعاً : لابد من تفرغ عدد كبير ، من علماءالأمة الإسلامية - المتخصصين والذين لهم اتصال بالبحوث والدراسات الاستشراقية - للقيام بهذه النقود العلمية واستخراجها على ما ينبغى .

عاشراً : أن تتوفر لهذا العمل الجدية ، والجهود المخلصة ، لتتمكن الأمة من المواجهة والعمل .

وهناك أعمال أخرى تتصل بمنهج نقد الاستشراق وهى ضرورية ليكون هناك تكامل وحسم فى المعالجة .
ونذكر من تلك الأعمال ما يلى :

١- أن يصاحب النقود التى توجه للاستشراق عمل موسوعة الرد على المستشرقين وموسوعة الرد شاملة لكل ما تناوله الاستشراق ، وفى هذا يقول الدكتور محمود حمدى زقزوق : إن المواجهة الفكرية الجادة هى الطريق الصحيح لمواجهة أية تيارات مناوئة للإسلام والمسلمين ، ومن أجل ذلك ينبغى أن ننظر إلى حركة الاستشراق بكل جدية ، ونأخذ فى الحسبان ، أن

لها آثاراً كبيرة على قطاعات عريضة من المثقفين فى العالم الإسلامى ، وفى العالم الغربى على السواء ، ولهذا لابد من التوفر على دراسة الاستشراق دراسة عميقة ، ولما كان الفكر الاستشراقى مكتوباً بشتى اللغات الحية ومنتشراً انتشاراً واسعاً على مستوى عالمى فمواجهته لابد أن تكون على المستوى العالمى نفسه [1].

وقد دعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى القاهرة ، فى نهاية عام ١٩٧٩م إلى ندوة لمناقشة موضوع إعداد موسوعة للرد على المستشرقين " وقد حضر الندوة عدد يزيد على عشرين من العلماء والمفكرين المهتمين بهذا الموضوع ، وقد أعدت التقارير وقضى الأمر ونامت الفكرة [2].

ولا يفوت الباحث أن يذكر أن : موسوعة الرد على المستشرقين " تختلف عن منهج نقد الاستشراق فى مجال العقيدة والسنة وغيرهما " لأن الموسوعة شاملة للفكر الإسلامى .

٢- لابد من عمل دائرة معارف إسلامية ، يقوم بعملها العلماء المسلمون " فمشروع إصدار دائرة معارف إسلامية " من بين

---

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق " الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى " ص١٣١ .

(٢) المصدر السابق : ص١٣١ .

الأولويات العملية الملحة فلا يجوز أن نظل نقتات فكرياً من دائرة المعارف الإسلامية ، التى قام بإعدادها المستشرقون قبل الحرب العالمية الثانية . فقد تجاوزها المستشرقون وانتهوا منذ بضع سنوات بإصدار دائرة معارف إسلامية جديدة .

وواجبنا نحن المسلمين أن نقوم بإصدار دائرة معارف إسلامية باللغة العربية ، واللغات الأوروبية ، تقف على الأقل فى مستوى دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين تخطيطاً وتنظيماً ، وتتفوق عليها علمياً ، وتنقل وجهة النظر الإسلامية فى شتى فروع الدراسات الإسلامية والعربية إلى المسلمين وغير المسلمين على السواء " (١).

قد لا يكون المرء مجانباً للصواب إذا عرف أن تقاعس المسلمين حتى اليوم عن عمل " دائرة معارف إسلامية " يدل على الضعف الذى يدب فى النفوس ، وأن مؤتمرات العلماء المسلمين ، وقراراتهم تمثل مظاهرة صاخبة ، هاجت ، وماجت ، ثم نامت .. إن مشكلتنا أننا نتكلم أكثر مما نعمل ، وإن شئت فقل : إننا نتكلم ولا نعمل .

ومهمتنا لنواجه الاستشراق ، أن نعمل على إصدار عدة موسوعات ودوائر معارف فى التاريخ ، والعقائد ، والآداب ، والأخلاق ، والفقه ، والحديث ومختلف العلوم والفنون لأن المعركة فكرية قوامها انتشار الكلمة .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

٣- من الضرورى لمؤازرة منهج نقد الاستشراق فى الأمور التى خاض فيه أن تكون هناك دوريات ، ومجلات ونشرات بمختلف اللغات تتناول ما يتصل بمواجهة الاستشراق لمحاصرة الفكر الاستشراقى وصد هجومه ، والوقوف أمام زحفه .

٤- من الضرورى لنجاح التصدى لسوء ما جاء عن بعض المستشرقين أن تكون هناك مؤسسات علمية ، وأكاديمية ، ودعوية ، ترعى شئون النقد والمواجهة وإعداد الدوريات والمجلات والمؤتمرات .

وفى إمكان الأمة الإسلامية ، أن توجد الهيئات العلمية العالمية ، وتهيئ الأجواء المناسبة التى تكفل نجاح المواجهة ، والتصدى للزحف الاستشراقى وذلك أن أمتنا الإسلامية حباها الله سبحانه وتعالى بأعظم النعم ، كما أن بها من الجامعات ما يمكن من وجود آلاف العلماء المتخصصين فى مختلف العلوم والفنون .

٥- أن نمد يد الصداقة والمودة للهيئات الاستشراقية العالمية ، وأن يكون لنا دور بالمشاركة فى المؤتمرات الاستشراقية التى تعقد فى مختلف العواصم العالمية .

وهذه المشاركة لها أثر إيجابى ، فى نفوس المستشرقين فقد تجعل المستشرقين يشعرون بأننا لسنا منعزلين وإننا نريد أن نفهمهم من نحن ، ومن نكون ؟ ومن الكياسة أن ندعو بعض المستشرقين المنصفين لفكرنا وتراثنا إلى مؤتمراتنا وندواتنا .

٦- أن تقيم كل جامعة فى مجتمعات الأمة الإسلامية معهداً للدراسات الاستشراقية يمنح الدارسون فى هذا المعهد درجات علمية عالية ، وقد لا يتصور الإنسان أن الأمة الإسلامية وقد تعددت جامعاتها المختلفة ، لم تعمل بعد على إنشاء معاهد أو أقسام للدراسات الاستشراقية فى حين أننا نجد أنه ما من جامعة فى أوروبا أو أمريكا إلا وملحق بها معاهد وأقسام لدراسة الإسلام والمسلمين ، حتى أصبحنا بحركاتنا وسكناتنا واقعين تحت سيطرة وأقوال وآراء الاستشراق .

٧- أن تعمل كل جامعة وكل معهد وكل مؤسسة على تفرغ عدد معين من أساتذتها للدراسات الاستشراقية فى مواضع محددة .

٨- أن يكون هناك تنسيق وتخطيط بين المؤسسات الإسلامية ، وتتكامل فى الموضوعات المطروحة .

وبهذه الأعمال العلمية نستطيع أن نتصدى للتحديات التى تواجه الأمة الإسلامية ، وبهذه الأعمال نستطيع أن نكشف فى وضوح : أن جهود المستشرقين لا تستند على حجة ، ولا عقل ، ولا منطق ، بل هى جهود مغرضة ، الهدف منها النيل من الإسلام وأهله ، وقد اتسمت هذه الجهود بالكذب ، والافتراء والمغالطة .

ومن يتصفح كتب المستشرقين وموسوعاتهم ودوائرهم يجد مئات من الاتهامات والأباطيل ، وآلاف التخريجات التى لا صلة لها بالعلم .

وإذا كان المسلمون يظنون أنهم فى صحوة إسلامية ، ووعى إسلامى فإن من مبادىء الصحوة الإسلامية وأولياتها : مواجهة الاستشراق والمستشرقين ، حتى لا يأتى وقت تكون فيه هذه الصحوات إرادة استشراقية وتجارب مرادة ، تجعل المسلمين يهتمون بالأشكال والقشور وكل ما من شأنه أن يبعث على الجمود والتأخر ، والتخلف .

***

المبحث الخامس

مواجهة التبشير

والتبشير - كما تذكره الموسوعات - حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية فى الأمم المختلفة فى دول العالم الثالث بعامة ، وبين المسلمين بخاصة ، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب .

ويعتبر المبشر " ريمون لول " أول نصرانى يتولى التبشير بعد فشل الحروب الصليبية فى مهمتها ، إذ أنه قد تعلّم اللغة العربية بكل مشقة ، وأخذ يجول فى بلاد الشام مناقشاً علماء المسلمين ، منذ القرن الخامس عشر الميلادى وأثناء الاكتشافات البرتغالية دخل المبشرون الكاثوليك إلى إفريقيا ، وبعد ذلك بكثير أخذت تردد الإرساليات التبشيرية البروتستانية إنجليزية ، وألمانية ، وفرنسية .

وقد اهتمت الكنيسة بتوجيه إلى التبشير فى المجتمعات الإسلامية ، تريد أن تقتلع الإسلام من نفوس المسلمين ، أو تبعد المسلمين عن الإسلام حتى يمكن أن يعتبر الإنسان بالقومية أو الحزبية أو الاشتراكية ، أو ما جرى مجرى هذا دون أن يفكر فى الإسلام .

ويكاد يجمع المبشرون فيما بينهم على أن القوة التى تخيف أوروبا وأمريكا هى قوة الإسلام والمسلمين ، ولذا يعمل التبشير بكل ما يملك على تمزيق الأمة الإسلامية ، ويصرح المبشر " لورانس براون " : " بالهدف الحقيقى للمبشرين من عملهم فى بلاد المسلمين " فيقول : " إذا اتحد المسلمون فى امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً ، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نقمة له ، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير " .

ويعبر القس صمويل زويمر عن النوايا السيئة التى تحملها النصرانية للإسلام والمسلمين ، فيقول : " لا ينبغى للمبشر المسيحى أن يفشل أو أن ييأس ويقنط عندما يرى أن مساعيه لم تثمر فى جلب كثير من المسلمين إلى المسيحية ، لكن يكفى جعل الإسلام يخسر مسلمين بذبذبة بعضهم ، عندما تذبذب مسلماً وتجعل الإسلام يخسره تعتبر ناجحاً يا أيها المبشر المسيحى يكفى أن تذبذبه ولو لم يصبح هذا المسلم مسيحياً .

وصمويل زويمر رئيس إرسالية التبشير العربية فى البحرين ورئيس جمعيات التنصير فى الشرق الأوسط ، كان يتولى إدارة مجلة العالم الإسلامى الإنجليزية التى أنشأها سنة ١٩١١م ، دخل البحرين عام ١٨٩٠م ، منذ عام ١٨٩٤م قدمت له الكنيسة الإصلاحية الأمريكية دعمها الكامل ، وأبرز مظاهر عمل البعثة التى أسسها زويمر كان فى حقل التطبيب فى منطقة الخليج ، ويعد زويمر من أكبر أعمدة التنصير فى العصر

الحديث ، وقد وضع كتاباً تحت عنوان " العالم الإسلامى اليوم " جاء فيه :

١- يجب إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم .
٢- يجب نشر الكتاب المقدس بلغات المسلمين لأنهم أهم عمل مسيحى .
٣- تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم ، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها .
٤- ينبغى للمبشرين ألا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة ، إذ من المحقق أن المسلمين قد نما فى قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوروبيين .

ويقول : " صموبل زويمر " فى مؤتمر القدس التنصيرى عام ١٩٣٥م : " لكن مهمة التبشير التى ندبتكم لها الدول المسيحية فى البلاد الإسلامية ليست فى إدخال المسلمين فى المسيحية ، فإن هذا هداية لهم وتكريماً ، وإنما مهمتكم هى أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالى لا صلة له بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها " .

ويقول أيضاً : " إنكم أعددتم نشئا لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه فى المسيحية وبالتالى فقد جاء النشء طبقاً لما أراده الاستعمار ، لا يهتم بعظائم الأمور ، ويحب الراحة والكسل ، فإذا تعلم

فالشهرة ، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففى سبيل الشهوة يجود بكل شىء " .

إن المبشرين كانوا يخططون لاختراق مجتمعات المسلمين فى دقة وخبث ودهاء ، فالمبشر لويس ماسينيون " قام على رعاية التبشير والتنصير فى مصر ، وكان عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، كما أنه كان مستشاراً لوزارة المستعمرات الفرنسية فى شئون شمال إفريقيا والمبشر " دون هك كرى " كان أكبر شخصية فى مؤتمر " لوزان " التبشيرى وهو بروتستانتى ، عمل مبشراً فى الباكستان لمدة عشرين سنة .

ولقد كان للمبشرين ولا يزال الكثير من المؤتمرات الاقليمية والعلمية التى يناقشون فيها خطط التبشير ، واتخاذ ما يرونه مناسباً لهم ، ومن تلك المؤتمرات المؤتمر التبشيرى العالمى فى " أدنبره " بأسكتلندة عام ١٣٢٨هـ -١٩١٠م ، وقد حضره مندوبون عن ١٥٩ جمعية تبشيرية فى العالم ومن أخطر المؤتمرات مؤتمر " كولورادو " فى ١٥ أكتوبر ١٩٧٨م ، تحت اسم " مؤتمر أمريكا الشمالية فى العالم ، استمر لمدة أسبوعين ، وانتهى بوضع استراتيجية بقيت سرية لخطورتها .

وما أكثر مؤتمرات التبشير التى لا تعقد فى أماكن متفرقة حسب الحاجة لعرقلة جهود المسلمين ، واقتلاعهم من الإسلام ، ويتخذ المبشرون وسائل وأساليب متعددة تحيط بالإنسان ومن وسائلهم التطبيب ، والتعليم ، والأعمال الاجتماعية ، والفتن ، والحروب ، يقول الدكتور نجيب الكيلانى : " إن روح التعصب

الأعمى ضد كل ما هو إسلامى لم تزل سائدة حتى أيامنا هذه ، تلك الروح التى غذاها المبشرون ورجال الدين من معتنقى الصليبية القديمة " .

وإن الباحث فى أساليب التبشير التى أحاطت بالمسلمين يجد أن هذه الأساليب أضرت بالمجتمعات الإسلامية ، وأصبحت عاملاً معوقاً لكل تقدم إسلامى .

وقد نجح التبشير فى مواقع كثيرة لأن إمكاناتهم هائلة ، ويتحملون ويعملون ويصبرون ويخططون ، ويتربصون .

وإذا كما تنبهنا أخيراً إلى الأخطار المحدقة بالمسلمين من جانب المبشرين ، فإن تنبهنا لم يأخذ إلى الطريق السليم ، وليس من الكياسة أن نكتفى بإنشاء مراكز للدعوة ، هنا وهناك إن الأمر يقتضى قبل مراكز الدعوة أن نكون أقمنا الملاجئ والمستشفيات والمدارس والمعاهد ومؤسسات الإغاثة والإعاشة .

المواجهة الصحيحة تقتضى عملا بعمل ، لا كلاماً يقال : إن المبشرين يعملون ونحن لا نعمل ، وإذا رغبنا فى مواجهتهم لإنقاذ إخواننا المسلمين فلابد وأن يكون عملنا أزيد من عملهم ، وتحركنا أكثر من تحركهم .

وإن المواجهة تحتاج إلى تخطيط وتنظيم واتساع المواقع ، والتعرف الدقيق ، فإذا ما فعلنا ذلك كان ذلك بداية طريق طويل .

أما أن نترك المسلمين فى قارة أفريقيا وآسيا وغيرهم تفترسهم النصرانية فإن ذلك أمر بالغ الخطورة .

وإذا كان للتبشير مؤتمرات دولية ، ومعاهد علمية ، وجمعيات تبشيرية فلماذا لا تكون للمسلمين مؤتمرات للدعوة والمواجهة ، وهنا ربما يقول قائل : للمسلمين مؤتمرات للدعوة كثيراً ما سمعنا ولا قرأنا عنها ، نعم للمسلمين مؤتمرات ، ولكن الناس يجتمعون فيها لينفضوا فهى تساوى مظاهرة فى الشارع فيها تصفيق وكلام ثم يدخل كل واحد بيته .

نحن نريد مؤتمرات لا تكون توصياتها وقراراتها حبراً على ورق ، وإنما نريد عملاً يعمل فى دقة وتخطيط وسرية

إن المجتمعات الإسلامية تعانى من التسلط التبشيرى فى الصحافة ، وسائر وسا ئل الإعلام ووكالات الأنباء ، وتعانى فى البيت ، وفى الشارع ، وفى أمور كثيرة ، قد يعرفها البعض ويسكت وماأكثر الساكتين لأنهم لا يملكون أن يقولوا شيئاً .

ومن الغريب والعجيب أنك ترى فى أسواق الصحافة فى بعض البلاد الإسلامية ، ما هب ودب ، وهو وهى ، من المجلات والصحف ، وتمنع من الدكول والوصول بعض المجلات والصحف الإسلامية ، لماذا ؟ لأنها إسلامية ، وكل ما هو إسلامى يقض مضاجع المبشرين ، ومن المؤلم حقاً أنك تجد عند باعة الصحف مئات المجلات فى كل التخصصات ، ما عدا الإسلام ، فمجلاته قليلة ، تعد على أصابع اليد الواحدة .

ويبدو أن هذا ربما تكون وراءه أجهزة تبشيرية ، حتى لا يكون هناك التأثير الذى يمنع من التأثر بالتبشير ، إن أمتنا الإسلامية مطالبة بأن تتبصر العواقب ، وتتعرف على خطواتها

بحكمة وتدبر قبل أن يتسع الخرق على الراقع ، إن التبشير نجح فى تنصير البعض ، ونجح فى أنه جعل المسلمين فى موقف المدافع وهو موقف المهزوم ، فهل نتدارك هذه المواقف ونتخطاها إلى موقف المواجهة ، والمواجهة تقتضى أموراً .

أولاً : علينا أن ندرك تماماً أن هؤلاء لا يبشرون بدينهم وعقائدهم ، أو يعملون على تحويل المسلم عن الإسلام ، إلا فى حالة إدراكهم أن المسلمين غير مهتمين بالإسلام ، سلوكاً وتطبيقاً ، ومن هنا كان علينا أن تكون مواجهتنا للتبشير عملياً بالاهتمام بإنشاء المدارس والمستوصفات ، والملاجئ ورعاية الأيتام ، واللقطاء ، والمسنين ، ويصاحب ذلك توعية إسلامية وتبشيرية بالإسلام .

ثانياً : إن ما يقوم به التبشير النصرانى فى إفريقيا والمجتمعات الإسلامية من بناء المستشفيات الخيرية ، والمدارس وغيرها مما يقدم للإنسان ، هو عمل خَيرِي فى الدرجة الأولى ، لأن الإنسان فى مثل هذه المجتمعات فى حاجة إلى من يقدم له يد العون أو المساعدة بالعلم ، والخبز ، والعلاج ، فإذا ما أراد المسلمون المواجهة العلمية ، فعليهم أن يعملوا مثلما يعمل المبشرون ويزيدون عليهم .

ثالثاً : يجب أن يدرك المسلمون أن التبشير يملك إمكانيات هائلة : مادية وبشرية فمواجهتنا للتبشير يجب أن تتوفر لها الإمكانيات المادية ، والطاقات البشرية .

رابعاً : لابد وأن نواجه التبشير من خلال مخطط دقيق ، ينفذ بحكمة وبصيرة وتوزع الأدوار ليكون هناك التكامل الواعى .

خامساً : يصاحب ذلك كله هجوم ونقد للأفكار الغربية والتبشيرية ، لننتقل من مرحلة المواجهة - الدفاع - إلى مرحلة الهجوم والنقد .

سادساً : وإذا كنا قد عرفنا كيفية مواجهة الاستشراق ، وكيفية مواجهة التبشير - وهما أصلان رئيسيان لكل أدوات الغزو الفكرى وتياراته فى المجتمعات الإسلامية - فإن هذه المواجهة لا تتم إلا إذا قامت أجهزة الإعلام فى الشعوب الإسلامية بأمرين :

الأمر الأول : أن تقف أجهزة الإعلام من (صحافة - وإذاعة - وتليفزيون - ومسرح - وسينما - وفيديو) عن تقديم أى شىء يتنافى مع مبادىء الإسلام ، لأنه لا فائدة من مواجهة الفكر الاستشراقى والتبشيرى فى الوقت الذى نجد فيه أجهزة الإعلام تمور بكل ما هو مخالف من عرى ، وخلاعة وتقاليد غريبة .

والأمر الثانى : أن تواكب مؤسسات الإعلام هذه المواجهة فتتناولها وتقف من ورائها وتعمل على مساعدتها بالتوجيه .

وقد لا يكون المرء مجانباً للصواب إذا تأكد أن مؤسسات الإعلام فى بعض المجتمعات الإسلامية ، قد نجح الاختراق الاستشراقى والتبشيرى فى الوصول إليها ، عن طريق عملائه الذين يديرون شئونها ، ولذا كان لابد من تطهير مؤسسات الإعلام من هولاء العملاء الذين وقعوا فريسة الغزو الفكرى وتربوا فى مدارسه ومعاهده .

سابعاً : أن تتوجه النقود إلى أى أثر من آثار " الغزو الفكرى " الموجود بالمجتمعات الإسلامية دون مجاملة لهذه المجتمعات ، وأقول هذا ، لأن كل مجتمع إسلامى يجب أن يمدح فقط وقد يكون فيه من البلاوى ما فيه .

ومشكلتنا أن نفرح بالمدح ونجامل بعضنا على حساب ما يمس شخصيتنا وإسلامنا ، يجب أن نضع الحساب أن أى مجتمع إسلامى هو مجتمعنا دون عنصرية أو إقليمية أو قومية أو حزبية ، وبهذا نستطيع أن نتمكن من المواجهة وتقديم النصيحة .

ثامناً : لابد وأن تتجه جهود المصلحين فى المجتمعات الإسلامية ، إلى التربية لأن المبادىء الإسلامية بمفاهيمها الأساسية ومناهجها التربوية تصنع شخصية متميزة لها سماتها وغاياتها الخاصة .

ولعل أخطر ما استهدفه الغزو الفكرى فى برامجه التخريبية ، هو هدم شخصيتنا الإسلامية : عقدياً ، وثقافياً ، وسلوكياً ، وعاطفياً .

ولعل معاول " الغزو الفكرى " التى أصابت الكثير ، لم تؤثر إلا من جراء انهدام الشخصية الإسلامية

ولهذا كان لابد من اتجاه فريق من المصلحين إلى تربية الأجيال ، تربية إسلامية تتولى المسئولية والإدارة .

****

محتويات الكتاب

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر